السعيد من عرف التوحيد

منصة دار التوحيد

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي جعل العلم النافع طريقًا موصلًا لرضاه، وجعل التوحيد أصل الدين وأعلاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، رفع شأن العلم وأهله حتى وصلوا من المجد إلى منتهاه، فمن سلك طريقًا يبتغي فيه علمًا؛ سهل الله له به طريقًا إلى جنته وعلاه، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، الرحمة المهداة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداة، ومن سار على نهجه إلى يوم لقاه.

أما بعد: فهذا شرح موجز لأهل العلم على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ليكون دليلًا إلى من يبحث عن السعادة الحقيقة الباقية، فإن حطام الدنيا متعة زائلة تنقضي، أما من أراد نجاة نفسه وسعادتها فعليه بالتوحيد، فإن السعيد من عرف التوحيد، وأرجو الله أن ينفع به، ويكون إسهاماً في نشر العلم والتوحيد -الذي هو حق الله على العبيد-، وصلى الله وسلم على نبينا محمد الذي بلغ البلاغ المبين حتى أتاه اليقين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

منصة دار التوحيد
https://t.me/DaralTAWHEEED
mnasadaraltwheed@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد

«التوحيد: مصدر وحَّدَ يوحِّد توحيداً.
وتوحيد الشيء: جعله واحداً.
التوحيد المطلوب يشمل ما أمر الله ﷻ به في كتابه من توحيده، وهو ثلاثة أنواع:
١- توحيد الربوبية.
٢- توحيد الألوهية.
٣- توحيد الأسماء والصفات.

فأما توحيد الربوبية: فمعناه توحيد الله بأفعاله. وأفعال الله كثيرة، منها:
الخلق، والرَّزْق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع، والضَّر، والشفاء، وإجابة دعوة المضطر، وإجابة دعوة الداعي.

وتوحيد الألوهية: هو توحيد الله بأفعال العبد المتنوعة، التي يوقعها على جهة التقرب، فإذا توجه بها لواحد وهو الله ﷻ كان موحداً إياه توحيد الإلهية، وإذا توجَّه العبد بها لله ولغيره كان مشركاً في هذه العبادة.

وأما توحيد الأسماء والصفات معناه :
أن يعتقد العبد أن الله ﷻ واحد في أسمائه وصفاته لا مماثل له فيها.

ضد التوحيد: الشرك. والشرك معناه: اتخاذ الشريك.
والشرك: هو اتخاذ شريك مع الله ﷻ في الربوبية، أو في العبادة، أو في الأسماء والصفات.

ينقسم الشرك إلى أكبر وأصغر، ومنه ما هو ظاهر، ومنه ما هو باطن خفي، فالأكبر: هو المخرج من الملة، والأصغر: ما حكم الشارع عليه بأنه شرك.

مثال الظاهر من الشرك الأكبر: عبادة الأوثان، والأصنام، وعبادة القبور، والأموات. ومثال الباطن: شرك المتوكلين على المشايخ، وشرك المنافقين؛ لأن المنافقين مشركون في الباطن؛ فشركهم أكبر، ولكنه خفي.

وكذلك الشرك الأصغر منه ما هو ظاهر، ومنه ما هو باطن خفي.
فمثال الظاهر من الشرك الأصغر: لبس الحلقة، والخيط، وتعليق التمائم، والحلف بغير الله، ونحو ذلك من الأعمال والأقوال.
ومثال الباطن الخفي: يسير الرياء ونحو ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.
هذه الآية فيها بيان التوحيد وفيها حصرٌ؛ لأن (ما) النافية مع (إلا) تفيد الحصر والقصر، ففيه قصر علة الخلق على العبادة، وقوله: ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ هذه اللام تسمّى لام التعليل، ويسميها بعض العلماء لام الحكمة، **والعبادة شرعاً: هي امتثال الأمر والنهي على جهة المحبة والرجاء والخوف»** (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥- ١٣) باختصار.

«كلما زاد التوحيد= محي من الذنوب بمقدار عظمة التوحيد في قلب العبد، وحصل له أمن في الدنيا وفي الآخرة، وكان متعرضًا لدخول الجنة على ما كان عليه من العمل.

- قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾.

(الأمن) هنا: هو الأمن التام في الدنيا، والمراد به أمن القلب وعدم حزنه على غير الله ﷻ والاهتداء التام في الدنيا وفي الآخرة، وكلما وجد نقص في التوحيد بغشيان العبد بعض أنواع الظلم الذي هو الشرك، إما الشرك الأصغر، أو الخفي= ذهب منه من الأمن والاهتداء بقدر ذلك، وكلما انتفى الظلم= وُجد الأمن والاهتداء، وكلما كمل التوحيد وانتفت المعصية= عظم الأمن والاهتداء.

- قال رسول الله ﷺ: «قال موسى: يا رب، علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله، قال: يا رب، كل عبادك يقولون هذا؟ قال: يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله».

في هذا الحديث دلالة على أن أهل الفضل، قد ينبهون على شيء من مسائل بالتوحيد؛ فـ(لا إله إلا الله) كلمة توحيد فيها ثقل لميزان من قالها، وعظم الفضل لمن اعتقدها وما دلت عليه» (١).

«قوله: (أذكرك وأدعوك به): موسى عليه السلام طلب شيئًا يحصل به أمران: ذكر الله ودعاؤه. فأجاب الله بقوله: (قل لا إله إلا الله)، وهذه الجملة ذكر متضمن للدعاء؛ لأن الذاكر يريد رضا الله عنه، والوصول إلى دار كرامته، فهو ذكر متضمن للدعاء» (٢).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٢٣- ٢٨) باختصار.
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٧٩) باختصار.

- «مغفرة الذنوب وتكفير السيئات.
- السبب الأعظم لتفريج كربات الدنيا والآخرة ودفع عقوبتهما.
- يمنع الخلود في النار.
- الهدى الكامل والأمن التام في الدنيا والآخرة.
- نيل رضا الله وثوابه.
- نيل شفاعة النبي ﷺ.
- قَبول الأعمال.
- يُسهل على العبد فعل الخير وترك المنكرات.
- يسليه عن المصيبات، **فالمخلص لله في إيمانه وتوحيده تخف عليه الطاعات لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه.**
- يُهون عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي، لما يخشى من سخطه وعقابه.
- يخفف عن العبد المكاره ويهون عليه الآلام، **فبحسب تكميل العبد للتوحيد والإيمان= يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة وتسليم ورضا بأقدار الله المؤلمة.**
- يحرر العبد من رق المخلوقين والتعلق بهم وخوفهم ورجائهم والعمل لأجلهم، وهذا هو العز الحقيقي والشرف العالي.
- دفاع الله عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمن عليهم بالحياة الطيبة والطمأنينة إليه والطمأنينة بذكره» (١).

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (٢٣) باختصار.

- «كلمة التقوى، وهي كلمة الإخلاص، وشهادة الحق، ودعوة الحق، وبراءة من الشرك، ونجاة هذا الأمر، ولأجلها خُلِق الخلق، ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب.
- أعظم النعم، قال ابن عيينة: «**ما أنعم الله على عبد من العباد نعمةً أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله**».
- لأجلها أُعدت دار الثواب ودار العقاب، ولأجلها أمرت الرسل بالجهاد، فمن قالها عصم مالَه ودمه.
- مفتاح الجنة، ومفتاح دعوة الرسل.
- توجب المغفرة، وترجح بصحائف الذنوب.
- أحسن الحسنات، وأفضل الذكر.
- تجدد الإيمان في القلب.
- أحب كلمة إلى الله: لا إله إلا الله، لا يقبل الله عملًا إلا بها.
- أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا للحسنات.
- تعدل عتق الرقاب، وتكون حرزًا من الشيطان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحي عنه مائة سيئة، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك».
- أمان من وحشة القبر وهول الحشر.
- ومن فضائلها: أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لا بد أن يخرجوا منها» (١).

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (٥٢-٦٧) باختصار.

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب

«معنى تحقيق الشهادتين:

تصفية الدين من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، فصار تحقيق التوحيد يرجع إلى ثلاثة أشياء:

- الأول: ترك الشرك بأنواعه: الأكبر، والأصغر، والخفي.
- والثاني: ترك البدع بأنواعها.
- الثالث: ترك المعاصي بأنواعها.

تحقيق التوحيد على درجتين:

درجة واجبة ودرجة مستحبة.

-الدرجة الواجبة:

أن يترك ما يجب تركه من الأشياء الثلاثة -الشرك والبدع والمعاصي-، فيترك الشرك خفيه وجليه، صغيره وكبيره، ويترك البدع، ويترك المعاصي.

-الدرجة المستحبة:

هي ألا يكون في القلب شيء من التوجه أو القصد لغير الله ﷻ.

يعني: أن يكون القلب متوجهًا إلى الله بكليته، ليس فيه التفات إلى غير الله، فيكون نطقه لله، وفعله وعمله لله، بل وحركة قلبه لله ﷻ، ويترك ما لا بأس به حذرًا مما به بأس» (١).

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٣٣) باختصار.

«إذا تحقيق التوحيد الواجب يكون بتصفيته من:

- الشرك الأصغر، والبدعة، والإصرار على المعصية.
- الإتيان بالواجبات.

أما تحقيق التوحيد المستحب فإنه يكون بتصفيته من أربعة أمور:

الأول: المكروهات.

الثاني: المشتَبِهات.

الثالث: فضول المباحات.

الرابع: التنزه عن الحاجة إلى المخلوقين.

حقيقة هذه الدرجة:

انجِذابُ الروح إلى اللّه ﷻ؛ بحيث يكون اللّه سبحانه في القلب أعظمَ من كُلِّ شيء، وبالتالي لا تَنْبَعِثُ الجوارحُ إلّا وِفْقَ ما يحبُّهُ اللهُ ﷻ؛ إنْ أَحَبَّ أَحَبَّ لله، وإن أَبْغَضَ أَبْغَضَ لله، وإن أَعطَى أَعطَى لله، وإن مَنَعَ مَنَعَ لله، وإنْ جَلَسَ جَلَسَ لله، وإن قَامَ قَامَ لله، فكُلُّ أموره الظاهرةِ والباطنةِ متعلّقةٌ بأمر الله ﷻ، قد تحقَّقَ بقوله عَزَوَجَلَّ: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾.

فمنتهى القصد، ومنتهى الطلب، ومنتهى المحبة، ومنتهى الرجاء، ومنتهى الرغبة، ومنتهى الرهبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

أهل التوحيد يعلمون أن هذه الدنيا سِباقٌ إلى الآخرة ومزرعةٌ للآخرة، فهم يَضِنّونَ بأنفسهم وأعمارهم وأوقاتِهِمْ عن أن يضيعَ منها شيء فيما لا ينفعُ عند اللّٰه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا لا يعني أنهم يتركون المباحَ جُملة، إنما هم يأخذون المباح على أنه أباحَهُ الله، ويستلذّون بهذه المباحات أيضًا، ولكن بأمرين:

١ . بكونها مُقَرِّبَةً إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بحيثُ يمكن أن يُستعان بها على طاعة اللّه.

٢. وجود النية الصالحة، فإنهم يتناولونها على نيةِ أنها **تُعينُ على طاعة الله** ﷻ، كما قال معاذ رضي اللَّهُ عَنْهُ كما في الصحيحين: «أما أنا فأحتسبُ نَوْمتي كما أحتسب قَوْمتي».

المقصود أن أصحاب هذه الدرجة العالية عندهم حرصٌ شديد على أوقاتهم فلا يُضيّعون شيئًا لا يوصلُ إلى مقصودهم العظيم؛ وهو أن يصلوا إلى رحمة الله وجنّتِهِ.

وأيضًا يتنزّهون عن سؤال المخلوقين؛ يَسْتَغْنون بالله عن خَلْقِهِ، عندهم من التعظيم لله والذُّلِّ له ما يجعلُهُمْ يَأنفون من أن يُرِيقُوا وجوهَهُمْ أو يَذِلّون لأحدٍ من المخلوقين، فلا يسألون إلا الله، مهما استطاعوا ومهما أمكنهم ذلك فإنَّهم لا يسألون الناس شيئًا.

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك رضي الله عَنْهُ أن النبي ﷺ ذكر لهم في مبايعتهم له: «ألا يسألوا الناس شيئاً»، وهذا فيه من تحقيق التوحيد ما لا يَخْفى على طالب العلم. **فأهلُ هذه الدرجة أَحْرَصُ ما يكونون على الاستغناء بالله عن كُلِّ ما سواه» (١).**

---

(١) شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح سندي (٧٠- ٧٨) باختصار.

«تحقيق معنى (لا إله إلا الله) = يقتضي أن لا إله غير الله، وإلاه هو الذي يطاع فلا يُعصى هيبة له وإجلالًا، ومحبة وخوفًا ورجاء، وتوكلًا عليه، وسؤالًا منه، ودعاءً له، ولا يصلح ذلك كله إلا لله ﷻ، فمن أشرك مخلوقًا في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الآلهية كان ذلك قدحًا في إخلاصه في قول: لا إله إلا الله، ونقصًا في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كله من فروع الشرك، ولهذا ورد إطلاق الكفر والشرك على كثير من المعاصي التي منشؤها من طاعة غير الله أو خوفه أو رجائه، أو التوكل عليه والعمل لأجله، كما ورد إطلاق الشرك على الرياء، وعلى الحلف بغير الله، وكذلك اتّباع هوى النفس فيما نهى الله عنه، قادحٌ في تمام التوحيد وكماله» (١).

«فمن حقق توحيده بأن امتلأ قلبه من الإيمان والتوحيد والإخلاص، وصدقته الأعمال بأن انقادت لأوامر الله طائعة منيبة مخبتة إلى الله ولم يجرح ذلك بالإصرار على شيء من المعاصي، فهذا الذي يدخل الجنة بغير حساب، ويكون من السابقين إلى دخولها وإلى تبوء المنازل منها.

<u>من أخص ما يدخل في تحقيقه:</u>

كمال القنوت لله وقوة التوكل على الله بحيث لا يلتف القلب إلى المخلوقين في شأن من شؤونه، ولا يستشرف إليهم بقلبه، ولا يسألهم بلسان مقاله أو حاله، بل يكون ظاهره وباطنه، وأقواله وأفعاله، وحبه وبغضه، وجميع أحواله كلها مقصودًا بها وجه الله، متبعًا فيها رسول الله ﷺ» (٢).

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (٢٣- ٢٤) باختصار.
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (٢٨).

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟، قَالَ: الرِّيَاءُ» رواه أحمد.

«خاف النبي ﷺ على أهل التوحيد من الرياء وعده من أعظم الذنوب؛ لأجل أثره، وهو أنه لا يغفر، ولأجل أن الناس قد يغفلون عنه. **والشيطان حريص على إيقاع أهل التوحيد في الشرك الأصغر، والشرك الأصغر تارة يكون في النيات، وتارة يكون في الأقوال، وتارة يكون في الأعمال.**

وكل من حقق التوحيد لا بد أن يخاف من الشرك؛ ولهذا كان سيد المحققين للتوحيد محمد ﷺ يُكثر من الدعاء بأن يبعد عنه الشرك، وكذلك كان إبراهيم -عليه السلام- يكثر من الدعاء، فتحقيق التوحيد عند أهله لا بد أن يقترن معه الخوف من الشرك، فكل محقق للتوحيد، وكل راغب فيه حريص عليه: يخاف من الشرك، وإذا خاف من الشرك فإن الخوف الذي هو فزع القلب وهلعه، يجعل العبد حريصًا كل الحرص على البعد عن الشرك والهروب منه والخوف من الشرك يثمر ثمرات منها:

- منها أن الخائف من الشرك يكون قلبه دائم الاستقامة على طاعة الله، مبتغيًا مرضاة الله فإن عصى، أو غفل كان استغفاره= استغفار من يعلم عظم شأن الاستغفار وعظم حاجته للاستغفار.
- يحرص على أن يستعيذ بالله ﷻ من الشرك الأصغر: اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئًا أعلمه، وأستغفرك مما لا أعلم» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٣- ٥٧) باختصار.

الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾.

«أي: الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله: تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله: الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه.

وكذلك الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك: الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر» (١).

«قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

أي سبيلي ومنهجي: أنني أدعو إلى الله، فمهمة الرسل هي: الدعوة إلى الله ﷻ، وفي الآية: **التنبيه على الإخلاص**، وهذا يحتاجه من أراد الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فالداعي إلى الإسلام يحتاج أن يكون مخلصًا في ذلك؛ لأن كثيرين وإن دعوا إلى الحق فإنما يدعون إلى أنفسهم، أو نحو ذلك» (٢).

---

(١) تفسير السعدي [فصلت:٣٣].

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٦٥) باختصار.

«ولا يتم التوحيد حتى يكمل العبد جميع مراتبه ثم يسعى في تكميل غيره وهذا هو طريق جميع الأنبياء فإنهم أول ما يدعون قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهي طريقة سيدهم وإمامهم ﷺ؛ لأنه قام بهذه الدعوة أعظم قيام ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن.

فكما أن على العبد أن يقوم بتوحيد الله فعليه أن يدعو العباد إلى الله بالتي هي أحسن، وكل من اهتدى على يديه فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء.

وإذا كانت الدعوة إلى الله وإلى شهادة أن لا إله إلا الله فرضًا على كل أحد، كان الواجب على كل أحد بحسب مقدوره.

ورحم الله من أعان على الدين ولو بشطر كلمة، وإنما الهلاك في ترك ما يقدر عليه العبد من الدعوة إلى هذا الدين» (١).

«الداعي إلى الله تعالى: هو **المخلص** الذي يريد أن يوصل الناس إلى الله تعالى. والداعي إلى غيره: قد يكون داعيًا إلى نفسه، يدعو إلى الحق لأجل أن يعظم بين الناس ويحترم، ومن دعا إلى الله ثم رأى الناس فارين منه فلا ييأس، ويترك الدعوة، فإن الرسول ﷺ قال لعلي -رضي الله عنه-: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

قوله: (حمر النعم) هي الإبل الحمراء، وذكرها؛ لأنها مرغوبة عند العرب، وهي أحسن وأنفس ما يكون من الإبل عندهم.

وقوله: (لأن يهدي الله بك) ولم يقل: لأن تهدي؛ لأن الذي يهدي هو الله، والمراد بالهداية هنا: هداية التوفيق والدلالة» (٢).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (٣٧).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٢٩- ١٣٨) باختصار.

«حقيقة تفسير التوحيد: العلم والاعتراف بتفرد الرب بجميع صفات الكمال وإخلاص العبادة له.

وذلك يرجع إلى أمرين:

الأمر الأول: نفي الألوهية كلها عن غير الله، بأن يعلم ويعتقد أنه لا يستحق الإلهية ولا شيئًا من العبودية أحد من الخلق لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب ولا غيرهما، وأنه ليس لأحد من الخلق في ذلك حظ ولا نصيب.

والأمر الثاني: إثبات الألوهية لله تعالى وحده لا شريك له وتفرده بمعالي الألوهية كلها، وهي نعوت الكمال كلها، ولا يكفي هذا الاعتقاد وحده حتى يحققه العبد بإخلاص كلمة أنه الدين لله، فيقوم بالإسلام والإيمان والإحسان وبحقوق الله وحقوق خلقه، **قاصدًا بذلك وجه الله، وطالبًا رضوانه وثوابه.**

ومن تمام تفسيرها وتحقيقها: البراءة من عبادة غير الله، وأنه لا بد من اعتقاد وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، ومن الإقرار بذلك اعتقادًا ونطقًا، ولا بد من القيام بعبادة الله وحده طاعة لله وانقيادًا، ولا بد من البراءة مما ينافي ذلك عقدًا وقولًا وفعلًا.

ولا يتم ذلك إلا بمحبة القائمين بتوحيد الله وموالاتهم ونصرتهم، وبغض أهل الكفر والشرك ومعاداتهم، لا تغني في هذا المقام الألفاظ المجردة، ولا الدعاوى الخالية من الحقيقة، بل لا بد أن يتطابق العلم والاعتقاد والقول والعمل» (١).

(١) قول السديد شرح كتاب التوحيد (٤٢).

«من الشرك الأصغر لبس الحلقة والخيط ونحوهما مثل: الخرز، والتمائم، والحديد، ونحو ذلك مما قد يُلبس، ومثله أيضًا ما يعلّق في البيوت، أو في السيارات، أو يعلّق على الصغار، ونحو ذلك، مما فيه لبس، أو تعليق، فكل ذلك يدخل في هذا الباب، وأنه من الشرك.

(الحلقة): إما أن تكون من صُفر يعني: من نحاس، وإما أن تكون من حديد، أو تكون من أي معدن.

(الخيط): عَقْد الخيط في اليد على وجه الاعتقاد.

وكان للعرب اعتقاد في الحلقة والخيط، ونحوهما: كالتمائم وغيرها، إذ كانوا يعتقدون أن من تعلّق شيئا من ذلك: أثر فيه ونفع، إما من جهة دفع البلاء قبل وقوعه، وإما من جهة رفع البلاء أو المرض بعد وقوعه.

لِمَ كان لُبس الحلقة أو الخيط من الشرك الأصغر؟

لأنه تعلق قلبه بها، وجعلها سببًا لرفع البلاء، أو سببًا لدفعه، والقاعدة في هذا الباب: أن إثبات الأسباب المؤثرة وكون الشيء سببًا: لا يجوز إلا من جهة الشرع فلا يجوز إثبات سبب إلا أن يكون سببًا شرعياً، أو أن يكون سببًا قد ثبت بالتجربة الواقعة أنه يؤثر أثرًا ظاهرًا لا خفيًا.

أما وجه كون لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه شركًا أصغر؛ فإن من لبسها فقد تعلق قلبه بها، وجعلها تدفع وتنفع، أو جعلها تؤثر في رفع الضرر عنه، أو في جلب المنافع له. وهذا إنما يستقل به الله ﷻ وحده؛ إذ هو وحده النافع الضار، وهو -سبحانه وتعالى- الذي يفيض بالرحمة، ويفيض بالخير أو يمسك ذلك» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٩٢- ٩٣) باختصار.

«التمائم: تجمع كل ما يعلّق، أو يتخذ مما يراد منه تتميم أمر الخير للعبد، أو دفع الضرر عنه ويعتقد فيه أنه سبب ولم يجعل الله ﷻ ذلك الشيء سببًا لا شرعًا، ولا قدرًا.

فالتميمة شيء يتخذ من جلد، أو ورق، ويكون فيه أذكار وأدعية وتعوذات تعلّق على الصدر، أو في العضد، وقد تتخذ التميمة من خرزات وحبال ونحو ذلك، يعلق على الصدر، وقد تكون التميمة باتخاذ شيء يجعل على باب البيت، أو في السيارة، أو أي مكان ما.

من علق التمائم لدفع الضر، واعتقد أنها سبب لذلك: فيكون قد أشرك الشرك الأصغر، **وإن علقها للزينة فهو محرم**؛ لأجل مشابهته من يشرك الشرك الأصغر، فدار الأمر على النهي عن التمائم كلها، سواء اعتقد فيها أو لم يعتقد؛ لأن حاله إن اعتقد أنها سبب: فهو شرك أصغر، وإن لم يعتقد فيكون قد شابه أولئك المشركين، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من تشبه بقوم فهو منهم».

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعًا: «من تعلق شيئا وُكِلَ إليه».

أي من تعلق أي شيء من الأشياء فإنه يُوكل إليه، والعبد إنما يكون عزه، ويكون فلاحه، ونجاحه، وحسن قصده، وحسن عمله في تعلقه بالله وحده، فيتعلق بالله وحده في أعماله، وفي أقواله، وفي مستقبله، وفي دفع المضار عنه، **فيكون أنس قلبه بالله، وسروره بالله، وتعلقه بالله، وتفويض أمره إلى الله، وتوكله على الله ﷻ**، فمن كان كذلك وتوكل على الله، وطرد الخلق من قلبه: فإنه لو كادته السماوات والأرض لجعل الله ﷻ له من بينها مخرجًا؛ لأنه توكل وفوض أمره على العظيم ﷻ» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٠٩- ١١٣) باختصار.

«البركة: هي كثرة الخير وثبوته، والتبرك: طلب البركة، وطلب البركة لا يخلو من أمرين:

١. أن يكون التبرك بأمر شرعي معلوم: مثل القرآن، قال تعالى: {كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}.

فمن بركته: أن من أخذ به حصل له الفتح، فأنقذ الله بذلك أممًا كثيرة من الشرك، ومن بركته: أن الحرف الواحد بعشر حسنات، وهذا يوفر للإنسان الوقت والجهد إلى غير ذلك من بركاته الكثيرة.

٢. أن يكون بأمر حسي معلوم: مثل: التعليم، والدعاء، ونحوه، فهذا الرجل يتبرك بعلمه ودعوته إلى الخير؛ لأن نال منه خيرًا كثيرًا» (١).

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ، وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾.

«هذه ثلاثة أصنامٍ مشهورة عند العرب يعبدونها من دون الله، يخضعون لها كما يخضعون لله، ويتقربون إليها كما يتقربون لله ﷻ ومع ذلك هم يعتقدون أنها لن تنفعهم عند الشدة، إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين» (٢).

«فالتبرّك بالأشجار والأحجار هو من سنة المشركين والجاهلية، ومن فعله فهو متشبه بالكفار، وهو كافر مثلهم، لا فرق بين من يعبد القبر ومن يعبد اللات والعُزَّى، أو الذي يطلب البركة من الشجرة والذي يطلبها من الصنم، فالتبرك لا يجوز؛ لا بالأشجار، ولا بالأحجار، ولا بالأشخاص، ولا بالحُجْرة النبوية، ولا بقبر النبي ﷺ» (٣).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٩٤) باختصار.
(٢) تفسير ابن عثيمين [النجم:١٩- ٢٠].
(٣) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١٦١- ١٦٣) باختصار.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

«**أي: ذبحي،** وذلك لشرف هاتين العبادتين وفضلهما، ودلالتهما على محبة الله تعالى، وإخلاص الدين له، والتقرب إليه بالقلب واللسان، والجوارح وبالذبح الذي هو بذل ما تحبه النفس من المال، لما هو أحب إليها وهو الله تعالى. ومن أخلص في صلاته ونسكه، استلزم ذلك إخلاصه لله في سائر أعماله» (١).

«والذبح من أجل العبادات وأكبر الطاعات، فالذبح لغير الله شرك أكبر مخرج عن دائرة الإسلام.

فإن حد الشرك الأكبر وتفسيره الذي يجمع أنواعه وأفراده:

(أن يصرف العبد نوعًا من أفراد العبادة لغير الله) .

فكل اعتقاد أو قول أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده= توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره= شرك وكفر.

كما أن حد الشرك الأصغر هو: (كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر من الإرادات والأقوال والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة)» (٢).

«فالواجب أن يذبح لله: قصدًا= تقربًا، وأن يسمي الله ﷻ على الذبيحة، فإن لم يسم الله ﷻ وترك التسمية عمدًا فإن الذبيحة لا تحل» (٣).

---

(١) تفسير السعدي [الأنعام: ١٦٢].
(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (٥٨).
(٣) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٣٩).

«الحكمة من أنه لا يذبح بمكان يذبح فيه لغير الله ما يلي:
الأول: أنه يؤدي إلى التشبه بالكفار.
الثاني: أنه يؤدي إلى الاغترار بهذا الفعل؛ لأن من رآك تذبح بمكان يذبح فيه المشركون ظن أن فعل المشركين جائز.
الثالث: أن هؤلاء المشركين سوف يقوون على فعلهم إذا رأوا من يفعل مثلهم، ولا شك أن تقوية المشركين من الأمور المحظورة، وإغاظتهم من الأعمال الصالحة.
الرابع: أن المعصية قد تؤثر في الأرض، وكذلك الطاعة أي: لما كانت هذه الأرض مكان شرك، حرم أن يعمل الإنسان ما يشبه الشرك فيها لمشابهة المشركين» (١).

«وصورة المسألة: أن يوجد مكان يُذبح فيه لغير الله، كمكان عند قبر، أو عند مشهد، أو عند مكان معظم، واعتاد المشركون التقرب بالذبائح لأصنامهم وأوثانهم في هذا المكان، فإذا كانوا يتقربون في هذا المكان للقبر أو نحوه ويذبحون لصاحبه يعني: من أجله فإنه لا يحل أن يذبح المسلم الموحد في هذا المكان ولو ذبحه خالصًا لله ﷻ؛ لأنه يكون قد شابه أولئك المشركين في تعظيم الأمكنة التي يتعبدون فيها بأنواع العبادات التي يصرفونها لغير الله ﷻ، فالذبح لله وحده -وإن كان خالصًا له- إن كان في المكان الذي يتقرب فيه لغير الله فإنه لا يحل ولا يجوز، ووسيلة من وسائل الشرك» (٢).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٩٤) باختصار.
(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (١٥٢).

«قول الله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} وجه الاستدلال به على كون النذر عبادة: وهو أن الله ﷻ مدح الموفين بالنذر، ومدحه للموفين بالنذر يقتضي أن الوفاء بالنذر محبوب له ﷻ، وأنه مشروع، فيكون صرفه لغير الله ﷻ شركا أكبر.

والنذر قسمان: نذر مطلق، ونذر مقيد.

النذر المطلق هو: أن يلزم العبد نفسه بعبادة لله ﷻ، هكذا بلا قيد، كأن يقول مثلا: لله علي نذر أن أصلي ركعتين، وليس هذا النذر في مقابلة شيء يحدث له في المستقبل، أو شيء حدث له، فيلزم نفسه بعبادة: كصلاة، أو صيام، أو نحو ذلك.

وليس هذا النذر الذي كرهه عليه الصلاة والسلام.

القسم الثاني: وهو النذر المقيد وهو النذر المكروه.

وحقيقته: أن يلزم العبد نفسه بطاعة لله ﷻ مقابل شيء يحدثه الله ﷻ له، ويقدره، ويقضيه له، كأن يقول مثلا: إن شفى الله مريضي فلله علي نذر: أن أتصدق بكذا وكذا، أو إن نجحت فسأصلي ليلة، أو إن عُيِّنت في هذه الوظيفة فسأصوم أسبوعًا، ونحو ذلك، فهذا كأنه يشترط بهذا النذر على الله ﷻ.

وهذا هو الذي وصفه النبي ﷺ بقوله: «إنما يُستخرج به من البخيل»؛ لأن البخيل هو الذي لا يعمل العبادة حتى يقاضى عليها، فمن ظن أنه لا تحصل حاجاته إلا بالنذر، فإن اعتقاده هذا مُحرَّم؛ لأنه ظن أن الله لا يعطي إلا بمقابل، وهذا سوء ظن بالله ﷻ، بل هو المتفضل المنعم على خلقه» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (١٥٩- ١٦٣).

قال رسول الله ﷺ: «من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك».

«معنى الاستعاذة: الاعتصام والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى في دفع المكروه والشرور.
وهو نوع من أنواع العبادة؛ لأن دفع الضرر، ودفع الشرور لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فكل ما لا يقدر عليه إلا الله فإنه لا يُطلب إلا من الله، فإن طُلب من غيره كان ذلك شركاً، هذا وجه كون الاستعاذة بغير الله من الشرك؛ لأن الاستعاذة عبادة، وصرف العبادة لغير الله شرك» (١).

«المراد (بالكلمات): الكلمات الكونية والشرعية.
قوله (التامات): تمام الكلام بأمرين:
١- الصدق في الأخبار.
٢- العدل في الأحكام.
قال الله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾.

قوله: (من شر ما خلق) أي: من شر الذي خلق» (٢).

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١٨٦) باختصار.
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٥٣).

باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره

«أمر الله بالاستعاذة به وحده من الشرور كلها، وبالاستغاثة به في كل شدة ومشقة، فهذه إخلاصها لله= إيمان وتوحيد، وصرفها لغير الله= شرك وتنديد.

والفرق بين الدعاء والاستغاثة: أن الدعاء عام في كل الأحوال والاستغاثة هي الدعاء لله في حالة الشدائد، فكل ذلك يتعين إخلاصه لله وحده، وهو المجيب لدعاء الداعين المفرج لكربات المكروبين، ومن دعا غيره من نبي أو ملك أو ولي أو استغاث بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله فهو مشرك كافر، وكما أنه خرج من الدين فقد تجرد أيضًا من العقل، فإن أحدًا من الخلق ليس عنده من النفع والدفع مثقال ذرة لا عن نفسه ولا عن غيره، بل الكل فقراء إلى الله في كل شؤونهم» (١).

«فالنفع والضرر إنما هو من الله سبحانه وتعالى، فهو الذي يستحق أن يُدعى لطلب الخير، ويُدعى أيضًا لرفع الشر، وكشف الضر، هو الذي يملك ذلك سبحانه وتعالى، لا تملكه جميع المخلوقات، قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فالنفع والضر بيد الله سبحانه وتعالى، **فيجب على العباد أن يتوجهوا إلى الله، وأن يدعو الله وحده، ولا يدعوا معه غيره سبحانه وتعالى» (٢).**

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (٥٨).
(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (١٩٦) باختصار.

«من براهين التوحيد معرفة أوصاف المخلوقين ومن عبد مع الله، فإن جميع ما يعبد من دون الله من ملك وبشر ومن شجر وحجر وغيرها كلهم فقراء إلى الله، عاجزون ليس بيدهم من النفع مثقال ذرة، ولا يخلقون شيئًا وهم يخلقون، ولا يملكون ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، والله تعالى هو الخالق لكل مخلوق، وهو الرازق لكل مرزوق، المدبر للأمور كلها، الضار النافع، المعطي المانع، الذي بيده ملكوت كل شيء، وإليه يرجع كل شيء، وله يقصد ويصمد ويخضع كل شيء.

فمن عرف الله وعرف الخلق اضطرته هذه المعرفة إلى عبادة الله وحده، وإخلاص الدين له والثناء عليه، وحمده وشكره بلسانه وقلبه وأركانه= خوفًا ورجاء وطمعًا» (١).

«ومن البرهان على أن الله هو المستحق للعبادة وحده: أنه ﷻ هو مالك الملك وحده، وهو المتفرد بتدبير هذا الملكوت، وهو الذي خلق العباد، والعباد صائرون إليه، أما الآلهة التي توجه إليها العباد بالعبادة من الأنبياء، أو الأولياء، أو الملائكة، فإنما هم: مخلوقون مربوبون، لا يخلقون شيئًا، وهم يخلقون، ولا يستطيعون نصرًا لمن سألهم، وإنما ذلك كله لله ﷻ فإذا كان أولئك المدعوون ليس لهم من الأمر شيء، وليس لهم من الملك شيء، وليس لهم من الخلق شيء، وليس لهم من تدبير الأمر شيء، وإنما تدبير أمر السماوات والأرض بيد الله وحده دون ما سواه، فإن الذي يستحق العبادة وحده، وهو الذي وحده العباد في ربوبيته؛ فإذا كان كذلك: فيجب أن يوحدوه بأفعالهم؛ وألا يتوجهوا بالعبادة إلا إليه وحده» (٢).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (٧٢).
(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (١٩٧).

«معنى ﴿فُزِّعَ﴾: يعني أزيل الفزع عن قلوب الملائكة؛ فالملائكة مع أنهم مقربون إلا أنهم شديدوا المعرفة بالله ﷻ، وشديدوا العلم به، فعلمهم بربهم سبحانه عظيم، ومما يعلمونه عن الله ﷻ أنه هو الجبار، وأنه هو الجليل سبحانه، وأنه ذو الملكوت، فلهذا اشتد فزعهم منه سبحانه؛ لأنه لا غنى بهم عنه ﷻ طرفة عين.

والصفات التي اشتملت على هذا النوع من البرهان، على استحقاقه تعالى للعبادة: هي صفات الجلال لله ﷻ وهي: الصفات التي تورث الخوف في القلب؛ لأن الصفات تنقسم إلى أقسام متنوعة باعتبارات، ومن ذلك: أنها تنقسم إلى صفات جلال، وصفات جمال.

فالصفات التي تحدث في القلب الخوف، والهلع، والرهبة من الرب ﷻ تسمى= صفات الجلال، والذي يتصف بصفات الجلال على الحقيقة هو الله ﷻ؛ لأنه هو الكامل في صفاته سبحانه.

فإذا كان كذلك: فإن الكامل في صفاته هو المستحق للعبادة، وأما البشر المخلوقون فإنهم ناقصون في صفاتهم، ويعلمون أن حياتهم ليست حياة كاملة، فحقيقة الأمر: أن البشر ضعاف فقراء، محتاجون، ليست لهم صفات الكمال، وهذا دليل عجزهم، ونقصهم، وأنهم مربوبون، مقهورون.

ولهذا يجب على العباد أن يتوجهوا بالعبادة إلى من له صفات الكمال، ونعوت الجمال والجلال: وهو الله ﷻ وحده سبحانه وتعالى» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٢٠٨- ٢٠٩).

«الشفاعة اصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة.

مثال جلب المنفعة: شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة بدخولها.

مثال دفع المضرة: شفاعة النبي ﷺ لمن استحق النار أن لا يدخلها.

المقصود من الشفاعة:

١. إكرام الشافع.

٢. نفع المشفوع له.

الشفاعة تنقسم إلى قسمين رئيسيين، هما:

القسم الأول: الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة العظمى، وهي من المقام المحمود.

الثاني: شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوها؛ لأنهم إذا عبروا الصراط ووصلوا إليها وجدوها مغلقة، فيطلبون من يشفع لهم، فيشفع النبي ﷺ إلى الله في فتح أبواب الجنة لأهلها.

الثالث: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب.

القسم الثاني: الشفاعة العامة له ﷺ ولجميع المؤمنين وهي أنواع:

النوع الأول: الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

النوع الثاني: الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها.

النوع الثالث: الشفاعة في رفع درجات المؤمنين.

قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾

للشفاعة شرطان، هما:

١. الإذن من الله.

٢. رضاه عن الشافع والمشفوع له» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٣٠- ٣٣٤).

في الصحيح عَنِ ابْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، فَقَالَ: «أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ» فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ تَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِهِ حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْهُ»فَنَزَلَتْ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، وَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾.

«الهداية المنفية هنا: هي هداية التوفيق، فالله ﷻ يجعل في قلب العبد من الإعانة الخاصة على قبول الهدى، ما لا يجعله لغيره. **فالتوفيق إعانة خاصة لمن أراد الله توفيقه؛** بحيث يقبل الهدى ويسعى فيه. فجعل هذا في القلوب ليس إلى النبي ﷺ؛ إذ القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، حتى إن أحب الناس إليه ﷺ لا يستطيع أن يجعله مسلما مهتديًا، وقد كان أبو طالب من أنفع قرابة النبي ﷺ له، ومع ذلك لم يستطع أن يهديه هداية توفيق.

والنوع الثاني من الهداية هي: هداية الدلالة والإرشاد، وهذه ثابتة للنبي ﷺ بخصوصه، ولكل داع إلى الله، ولكل نبي ورسول.

فبطل تعلق القلوب في المطالب المهمة كالهداية، والمغفرة، وطلب الرضوان، وطلب دفع الشرور، وفي جلب الخيرات إلا بالله ﷻ فإنه هو الذي يجب أن تتعلق القلوب به ﷻ خضوعًا، وإنابة، ورغبًا، ورهبًا، وإقبالًا عليه، وإعراضًا عما سواه سبحانه وتعالى» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٢٢٨- ٢٣٠).

«الغلو في اللغة: هو الزيادة عن الحد.

وفي الشرع: هو الزيادة عن الحد المشروع.

وأما الغلو في الصالحين هو: الزيادة في مدحهم، ورفعهم فوق مكانتهم؛ بأن يُجعل لهم شيءٌ من العبادة.

وأما الغلو في الدين فهو: الزيادة عن الحد المشروع في العبادات، في مقاديرها، أو في كيفيّتها.

وأول شرك حدث في الأرض سببه هو الغلو في الصالحين ثمّ بعث الله نبيّه نوحاً عليه السلام ينهى عن ذلك، ويردّهم إلى التّوحيد.

إن البدع تنقسم إلى قسمين: بدعة حقيقية، وبدعة إضافية.

الحقيقية: إذا أُحدث شيء لا أصل له، مثل المولد والتبرك بالآثار.

والإضافية: أن نُحدِث للعبادة المشروعة وقتاً أو صفة لم يشرعها الله ورسوله ﷺ، كما لو قلنا: ليلة النصف من شعبان يصلون النّاس ويتهجّدون، أو نصوم النصف من شعبان» (١).

وفي الصحيح عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: في قول الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسي العلم عبدت.

«قال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: لما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد، فعبدوهم» (٢).

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢٦٣- ٢٦٨) باختصار.

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ١٠٧٢).

في الصحيح عن عائشة أن أم سلمة «ذكرت لرسول الله ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح- أو العبد الصالح- بنوا على قبره مسجدًا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله».

فهؤلاء جمعوا بين فتنتين: فتنة القبور وفتنة التماثيل.

«إذا كان هذا التغليظ واللعن قد جاء في حق من اتخذ قبور الصالحين مساجد، ومن أسرج على القبور، أو عظمها، وعظم من فيها، وعبد الله وحده عندها: إذا كان هذا قد جاءت النصوص بلعن فاعله، وأنه من شرار الخلق عند الله: فكيف إذا توجه ذلك العابد إلى صاحب القبر يدعوه، ويرجوه، أو يخافه، أو يذبح له ؟!

لا شك أن هذا أعظم وأعظم في التغليظ من عبادة الله وحده عند قبر رجل صالح، التغليظ يكون أشد وأشد، إذا عبد صاحب ذلك القبر؛ لأن تحري العبادة والدعاء أو تعظيم ذلك المكان، **وسيلة وذريعة إلى الشرك.**

وعبادة القبوريين تارة تكون بالتوجه إلى القبر، وتارة بالتوجه إلى صاحب القبر، وتارة التوجه إلى ما حول القبر، كالأبنية المحاطة بالقبور، وصارت مشاهد، فمنها ما يكون مسورًا بالحديد، فترى من هؤلاء من يعمد إلى تلك الستور والجدران والأبنية، فيتمسح بها رجاء بركتها، ويتخذها وسيلة إلى الله، ولا شك أن هذا نوع من أنواع اتخاذ المشاهد أوثانًا، ومن اتخاذ القبور أوثانًا» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٢٥٣- ٢٥٥).

روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾، قال: كان يلت لهم السويق فمات، فعكفوا على قبره، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسراج».

«نهى النبي ﷺ عن الكتابة على القبر، أو تجصيصه، أو رفعه؛ لأجل سد الطرق التي توصل إلى الغلو في قبور الصالحين.

فمجاوزة الحد في قبور الصالحين هي مجاوزة لما أمر الشارع أن تكون عليه القبور؛ لأن قبور الصالحين لا تختلف عن قبور غير الصالحين. فالغلو فيها يكون بالكتابة عليها، أو برفعها، أو بالبناء عليها، أو باتخاذها مساجد، وكل هذا من الوسائل المؤدية إلى الشرك الأكبر. ومن صور الغلو في قبور الصالحين: أن تجعل وسيلة من الوسائل التي تقرب إلى الله ﷻ، أو أن يتخذ القبر أو من في القبر شفيعًا لهم عند الله ﷻ، أو ينذر للقبر، أو يذبح له، أو يستشفع بترابه؛ اعتقادًا أنه وسيلة عند الله ﷻ، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأكبر بالله تبارك وتعالى.

وهذا هو الواقع والمشاهد في كثير من بلاد الإسلام: في أن القبور صارت أوثانًا تعبد من دون الله، لما أقيمت عليها المشاهد والقباب، ودعي الناس إليها، وذبح لها، وقبلت النذور لها، وصار يطاف حولها، ويعكف عندها، ونحو ذلك من أنواع الشرك الأكبر بالله» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٢٧٠).

قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا، وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أبو داود.

«قوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيدًا» يعني: لا تصيروا قبري مكانًا تعودون إليه أو تعتادون المجيء إليه في أوقات معلومة؛ فإن هذا قد يوصل إلى أن يعظم النبي ﷺ كتعظيم الله ﷻ، فاتخاذ القبور عيدًا من وسائل الشرك.

فحمى النبي عليه الصلاة والسلام حمى التوحيد وحرس جنابة، وسد كل طريق توصل إلى الشرك، حتى في قبره عليه الصلاة والسلام، فإذا كان قد نهى عن اتخاذ قبره مسجدًا، أو عيدًا، فمن باب أولى قبور غيره من الأنبياء والمرسلين، والصالحين، فإنهم أولى بذلك؛ لأنه أفضل خلق الله عليه الصلاة والسلام.

فالحاصل: أن بعض هذه الأمة خالف ما دعا إليه النبي ﷺ وأمر به من حماية جناب التوحيد، فاتخذوا القبور مساجد، وأعيادًا، وبنوا عليها المشاهد، وأسرجوها، وقدموا لها الذبائح والنذور، وطافوا حولها، وجعلوها كالكعبة، وجعلوا الأمكنة حولها مقدسة أعظم من تقديس بقاع الله المباركة، بل إن عباد القبور تجد عندهم من الذل، والخضوع، والرغب، والرهب حين يأتون إلى قبر النبي ﷺ أو قبر الرجل الصالح أو قبر الولي ما ليس في قلوبهم إذا كانوا في خلوة مع الله ﷻ وهذا عين المحادة لله ﷻ ولرسوله ﷺ» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٢٧٠).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ سَلَكُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَسَلَكْتُمُوهُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: فَمَنْ؟».

«جُحر الضب من أعسر الجحور، ومع هذا لو دخله اليهود والنصارى لكان في هذه الأمة من يفعل ذلك تقليداً لهم.

وقد جاء النهي عن التشبّه بهم بقوله: «لا تشبّهوا باليهود والنصارى»، وقوله: «ومن تشبه بقوم فهو منهم».

والشاهد من هذا الحديث واضح: أنه يكون في هذه الأمة من يتشبّه باليهود والنصارى في كل شيء، واليهود والنصارى بنوا على القبور، فيؤخذ في هذه الأمة من يبني على القبور تشبُّهاً بهم، والنصارى يعملون عيد المولد للمسيح عليه السلام فيُوجد في هذه الأمة من يعمل عيد المولد لمحمد ﷺ تشبُّهاً بالنصارى.

كما وُجد في اليهود والنصارى من يحلق لحيته ويُوَفِّر شاربه، فوُجد من هذه الأمة من يحلق لحيته ويوفّر شاربه، إلى غير ذلك من أنواع التشبُّه التي لا تُحصى مصداقاً لقوله ﷺ» (١).

«فإذا تأملت كلام النبي ﷺ وجدته مطابقا للواقع: «لتتبعن سنن من كان قبلكم»، ولكن يبقى النظر: هل هذا الحديث للتحذير أو للإقرار؟

الجواب: لا شك أنه للتحذير وليس للإقرار، فالرسول ﷺ أخبر بأشياء ستقع، ومع ذلك أخبر بأنها حرام بنص القرآن، لكن قصد التحذير من هذا العمل» (٢).

---

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٣٢٨- ٣٢٩) باختصار.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٥٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟، قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ».

«السحر في اللغة هو: عبارة عما خفي ولطف سببه.

والسحر هو كفر وشرك أكبر بالله ﷻ؛ فهو استخدام الشياطين والاستعانة بها لحصول أمر بواسطة التقرب لذلك الشيطان بشيء من أنواع العبادة.

والسحر: رقى وعزائم وعقد ينفث فيها فيكون سحرًا يضر حقيقة، ويمرض حقيقة، ويقتل حقيقة، فحقيقة السحر= استخدام للشياطين في التأثير، ولا يمكن للساحر أن يصل إلى إنفاذ سحره حتى يكون متقربًا إلى الشياطين، فإذا تقرب إليها خدمته شياطين الجن بأن أثرت في بدن المسحور، فلكل ساحر خادم من الشياطين يخدمه، فلا يمكن للساحر أن يكون ساحرًا على الحقيقة إلا إذا تقرب إلى الشياطين؛ ولهذا فإن السحر شرك بالله ﷻ وهو من نواقض الإسلام؛ لأنه شرك بالله، ومنه الصرف والعطف؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى روح وقلب من يراد صرفه أو العطف إليه إلا بالشرك؛ لأن الشيطان هو الذي يؤثر على النفس ولن يخدم الشيطان الإنسي الساحر إلا بعد أن يشرك بالله ﷻ.

والصحابة -رضوان الله عليهم- أمروا بقتل الساحر، والواجب على المسلمين أن يحذروا السحر بأنواعه» (١).

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٢٩٦).

عن قَطَنُ بْنُ قَبِيصَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْعِيَافَةُ وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ مِنَ الْجِبْتِ» رواه أبو داود.

«قوله «العيافة» هي: زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل.

قوله «الطرق»: أي الخط يخط في الأرض= يضربون به على الرمل.

قوله«الطيرة»: هي التشاؤم بمرئي أو مسموع، وقيل: التشاؤم بمعلوم مرئيًا كان أو مسموعًا، زمانًا كان أو مكانًا.

قوله «من الجبت»: أي السحر، فالمعنى أن هذه الثلاثة (العيافة والطرق والطيرة) من الجبت.

ينبغي للإنسان ألا يتشاؤم؛ لأنه ينكد عليه عيشه، فالواجب الاقتداء بالنبي ﷺ حيث كان يعجبه الفأل، فينبغي للإنسان أن يتفاءل بالخير ولا يتشاءم.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا وُكِلَ إِلَيْهِ» رواه النسائي.

قوله «ومن تعلق شيئا وكل إليه»: أي: استمسك به، واعتمد عليه.

ومن توكل على الله كفاه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾، لكن من تعلق شيئًا من المخلوقين وكل إليه، ومن وكل إلى شيء من المخلوقين وكل إلى ضعف وعجز وعورة، وقد يشمل الحديث من اعتمد على نفسه وصار معجبًا بما يقول ويفعل= فإنه يوكل إلى نفسه، ويوكل إلى ضعف وعجز وعورة، **ولهذا ينبغي أن تكون دائمًا متعلقًا بالله في كل أفعالك وأحوالك حتى في أهون الأمور» (١).**

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٥١٤- ٥٢١) باختصار.

باب ما جاء في الكهان ونحوهم

قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً» رواه مسلم.

«العراف: اسم للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق.

والكاهن: هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل.

واعلم أن أصناف الكهانة كثيرة جدًا وجامعها الذي يجمعها: أنه يستخدم الكاهن وسيلة ظاهرة عنده ليقنع السائل بأنه وصل إليه العلم عن طريق أمور ظاهرة كالنجوم، أو عن طريق الخط، أو عن طريق الطرق، أو عن طريق الفنجان، أو عن طريق الكف، أو عن طريق النظر في الحصى، أو عن طريق الخشب ونحو ذلك، هذه كلها وسائل يغر بها الكاهن من يأتيه، وهي في الحقيقة وسائل لا تحصل ذاك العلم، ولكن العلم جاءه عن طريق الجن وهذه الوسيلة إنما هي وسيلة لخداع الناس، ولكي يظن الظان أنها تؤدي إلى العلم وأن هؤلاء أصحاب علم وفن بهذه الأمور، وفي الواقع هو لا يتحصل على العلم الغيبي عن طريق خط، أو عن طريق فنجان، أو عن طريق النظر في البروج، أو نحو ذلك، وإنما يأتيه العلم عن طريق الجن.

وحكم الكاهن: مشرك بالله الشرك الأكبر؛ لأنه لا يمكن له أن يخبر بالأمور المغيبة إلا بأن يشرك.

وأما حكم التصديق بالكاهن: كفر أصغر» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٣١٦- ٣٢٢).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ النُّشْرَةِ، فَقَالَ: «هُوَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ» رواه أبو داود.

«معنى النشرة: هو حل السحر عن المسحور.
حكمه: محرم.

طرق حل السحر على نوعين:
الأول: أن تكون باستخدام الشياطين، فإن كان لا يصل إلى حاجته منهم إلا بالشرك= كانت شركًا، وإن كان يتوصل لذلك بمعصية دون الشرك، كان لها حكم تلك المعصية.
الثاني: أن تكون بالسحر، كالعقد والنفث وهو محرم.
أما النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات= فهذا جائز.

قوله «من عمل الشيطان»:
أي: من العمل الذي يأمر به الشيطان ويوحي به؛ لأن الشيطان يأمر بالفحشاء ويوحي إلى أوليائه بالمنكر، وهذا محرم؛ لأن نسبتها للشيطان أبلغ في تقبيحها والتنفير منها، ودلالة النصوص على التحريم لا تنحصر في لفظ التحريم أو نفي الجواز، بل إذا رتبت العقوبات على الفعل كان دليلًا على تحريمه» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٥٥٣- ٥٥٤) باختصار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»

«الطيرة هي: التشاؤم بالطيور والأسماء والألفاظ والبقاع وغيرها.

والطيرة على قسمين:

أحدهما: أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازمًا على فعله، فيتطير بذلك، فلا شك أنه على هذا الوجه أثر على إيمانه وأخل بتوحيده وتوكله، وهو من طرق الشرك.

الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي ولكنه يؤثر في قلبه حزنًا وهمًا وغمًا، فهذا وإن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه وموهن لتوكله، وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوي تطيره، وربما تدرج إلى الأمر الأول.

وينبغي لمن وجد شيئًا من ذلك وخاف أن تغلبه الدواعي الطبيعية أن يجاهد نفسه على دفعها ويستعين بالله على ذلك، ولا يركن إليها بوجه ليندفع الشر عنه» (١).

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ».

«عقيدة كل مسلم أنه لا يأتي بالحسنات إلا الله، ولا يدفع السيئات إلا الله، وبمقتضى هذه العقيدة= ألا يسأل المسلم الحسنات ولا يسأل دفع السيئات إلا من الله.

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» معناها: أنه لا يوجد لنا حول ولا قوة إلا بالله= فالباء للاستعانة أو للسببية، أي إننا لا نتحول من حال إلى حال، ولا نقوى على ذلك إلا بالله، وفيه كمال التفويض إلى الله» (٢).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١١٩) باختصار.
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٥٧٢- ٥٧٣) باختصار.

علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

١- علم التأثير.

٢- علم التسيير.

فالأول: علم التأثير. وهذا ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ: أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور= فهذا شرك أكبر؛ لأن من ادعى أن مع الله خالقًا، فهو مشرك شركًا أكبر، فهذا جعل المخلوق المسخر خالقًا مُسَخِّرًا.

ب: أن يجعلها سببًا يدعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا وكذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاء؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته ستكون سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني= فهذا اتخذ تعلم النجوم وسيلة في ادعاء علم الغيب، ودعوى علم الغيب كفر مخرج عن الملة.

ج: أن يعتقدها سببًا لحدوث الخير والشر، أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم= فهذا شرك أصغر.

الثاني: علم التسيير. وهذا ينقسم إلى قسمين:

الأول: أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية= فهذا مطلوب، وإذا كان يعين على مصالح دينية واجبة كان تعلمها واجبًا، كما يستدل بالنجوم على جهة القبلة.

الثاني: أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية= فهذا لا بأس به، كما أن يستدل بها على الجهات، والفصول» (١).

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٥-٧) باختصار.

باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

قال رسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ» رواه مسلم.

«لما كان من التوحيد: الاعتراف لله بتفرده بالنعم ودفع النقم، وإضافتها إليه قولًا واعترافًا بها على طاعته كان قول القائل: مطرنا بنوء كذا وكذا، ينافي هذا المقصود أشد المنافاة لإضافة المطر إلى النوء.

والواجب إضافة المطر وغيره من النعم إلى الله، فإنه الذي تفضل على عباده.

ثم الأنواء ليست من الأسباب لنزول المطر بوجه من الوجوه، وإنما السبب عناية المولى ورحمته وحاجة العباد وسؤالهم لربهم بلسان الحال ولسان المقال، فينزل عليهم الغيث بحكمته ورحمته بالوقت المناسب لحاجتهم وضرورتهم.

فلا يتم توحيد العبد حتى يعترف بنعم الله الظاهرة والباطنة عليه وعلى جميع الخلق، ويضيفها إليه ويستعين بها على عبادته وذكره وشكره» (١).

«والواجب على الإنسان إذا جاءته النعمة أن لا يضيفها إلى أسبابها مجردة عن الله، بل يعتقد أن هذا سبب محض إن كان هذا سببًا، مثال ذلك: رجل غرق في ماء، وكان عنده رجل قوي، فنزلت وأنقذه، فإنه يجب على هذا الذي نجا أن يعرف نعمة الله عليه، ولولا أن الله أمر أمرًا قدريًا، وأمرًا شرعيًا أن ينقذك هذا الرجل ما حصل إنقاذ، فأنت تعتقد أن هذا سبب محض» (٢).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٢٤) باختصار.
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٤١) باختصار.

قال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «من أحب في الله، وأبغض في الله، ووالى في الله، وعادى في الله فإنما تنال ولاية الله بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه، حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا، وذلك لا يجدي على أهله شيئًا». رواه ابن جرير.

«أصل التوحيد وروحه: **إخلاص المحبة لله وحده وهي أصل التأله والتعبد له**، ولا يتم التوحيد حتى تكمل محبة العبد لربه، وتسبق محبته جميع المحاب، ويكون لها الحكم عليها بحيث تكون سائر محاب العبد تبعًا لهذه المحبة التي بها سعادة العبد وفلاحه.

ومن تفريعها وتكميلها: الحب في الله، فيحب العبد ما يحبه الله ويبغض ما يبغضه الله، ويوالي أولياءه ويعادي أعداءه، وبذلك يكمل إيمان العبد وتوحيده، أما اتخاذ أنداد من الخلق يحبهم كحب الله، ويقدم طاعتهم على طاعة الله= فهذا هو الشرك الأكبر.

واعلم أن أنواع المحبة أربعة أقسام:

الأول: محبة الله هي أصل الإيمان والتوحيد.

الثاني: المحبة في الله وهي محبة أنبياء الله ورسله وأتباعهم.

الثالث: المحبة مع الله وهي محبة المشركين لآلهتهم وأندادهم.

الرابع: المحبة الطبيعية وهذه إذا كانت مباحة، فإن أعانت على محبة الله وطاعته دخلت في العبادات» (١).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٢٨) باختصار.

«قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي: فلا تخافوا المشركين أولياء الشيطان، فإن نواصيهم بيد الله، لا يتصرفون إلا بقدره، بل خافوا الله الذي ينصر أولياءه الخائفين منه المستجيبين لدعوته. **وفي هذه الآية وجوب الخوف من الله وحده، وأنه من لوازم الإيمان، فعلى قدر إيمان العبد يكون خوفه من الله، والخوف المحمود: ما حجز العبد عن محارم الله» (١).**

«العبادة ترتكز على شيئين: المحبة، والخوف.
فبالمحبة= يكون امتثال الأمر، وبالخوف= يكون اجتناب النهي.

أقسام الخوف:

الأول: خوف العبادة والتذلل والتعظيم والخضوع، وهو ما يسمى بخوف السر؛ وهذا لا يصلح إلا لله ﷻ، فمن أشرك فيه مع الله غيره فهو مشرك شركًا أكبر، وذلك مثل: من يخاف من الأصنام أو الأموات، أو من يزعمونهم أولياء ويعتقدون نفعهم وضرهم.

الثاني: الخوف الطبيعي والجبلي، فهذا في الأصل مباح.

ويجب على المرء أن يجعل الخوف من الله فوق كل خوف وأن لا يبالي بأحد في شريعة الله تعالى، وأن يعلم أن من التمس رضا الله تعالى وإن سخط الناس عليه= فالعاقبة له، وإن التمس رضا الناس وتعلق بهم وأسخط الله= انقلبت عليه الأحوال، ولم ينل مقصوده، بل حصل له عكس مقصوده، وهو أن يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس» (٢).

(١) تفسير السعدي (آل عمران: ١٧٥).
(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٦٦- ٨٦) باختصار.

«التوكل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطر إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبد أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذل جهده في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبد هذا العلم وهذا الاعتماد والثقة فهو المتوكل على الله حقيقة، وليبشر بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو مشرك، ومن توكل على غير الله، وتعلق به، وكل إليه وخاب أمله» (١).

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي: يفوِّض أمره إلى الله ويعتمد على الله فإن الله حسبه= أي: كافيه جميع الأمور.

فهذا فيه: ثمرة التوكُّل على الله سبحانه وتعالى، وأن الله يكفي من توكّل عليه، ومن كان الله كافيه فإنه هو الرابح والمفلح في الدنيا والآخرة، ولا يخاف من غيره أبداً، إنما يخاف من الله سبحانه وتعالى» (٢).

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٣٤) باختصار.

(٢) إعانة المستفيد المفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٦٤) باختصار.

باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾

«مقصود الترجمة: أنه يجب على العبد أن يكون خائفًا من الله، راجيًا له راغبًا راهبًا، إن نظر إلى ذنوبه وعدل الله وشدة عقابه خشي ربه وخافه، وإن نظر إلى فضله العام والخاص وعفوه الشامل رجا وطمع، وإن وفق لطاعة رجا من ربه تمام النعمة بقبولها، وخاف من ردها بتقصيره في حقها، وإن ابتلي بمعصيته رجا من ربه قبول توبته ومحوها، وعند النعم واليسار يرجو الله دوامها والزيادة منها والتوفيق لشكرها، ويخشى بإخلاله بالشكر من سلبها، وعند المكاره والمصائب يرجو الله دفعها وينتظر الفرج بحلها، ويرجو أن يثيبه الله عليها حين يقوم بوظيفة الصبر، ويخشى من اجتماع المصيبتين: فوات الأجر المحبوب، وحصول الأمر المكروه إذا لم يوفق للقيام بالصبر الواجب.

فالمؤمن الموحد في كل أحواله ملازم للخوف والرجاء وهذا هو الواجب، وهو النافع، وبه تحصل السعادة ويخشى على العبد من خلقين رذيلين:

أحدهما: أن يستولي عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله.

الثاني: أن يتجارى به الرجاء حتى يأمن مكر الله وعقوبته.

فمتى بلغت به الحال إلى هذا فقد ضيع واجب الخوف والرجاء اللذين هما من أكبر أصول التوحيد وواجبات الإيمان» (١).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٣٨) باختصار.

www.alukah.net

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

«قال علقمة: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم» (١).

«المصائب من القدر، والقدر راجع إلى حكمة الله ﷻ، وحكمة الله ﷻ هي: وضع الأمور في مواضعها الموافقة للغايات المحمودة منها، فنعلم بذلك أن المصيبة إذا أصابت العبد فإن الخير له فيها، إما أن يصبر فيؤجر، وإما أن يتسخط فيؤزر على ذلك، فالله ﷻ له الحكمة من الابتلاء بالمصائب؛ لهذا يجب على العبد أن يعلم أن ما جاء من عند الله هو قدر الله ﷻ وقضاؤه الموافق لحكمته فيجب الصبر على ذلك» (٢).

«الناس حال المصيبة على مراتب أربع:

الأولى: التسخط: وهو إما أن يكون بالقلب، كأن يسخط على ربه، وقد يكون باللسان، كالدعاء بالويل، وقد يكون بالجوارح، كلطم الخدود، وشق الجيوب، ونتف الشعور، وما أشبه ذلك.

الثانية: الصبر، فيرى الإنسان أن هذا الشيء ثقيل عليه ويكرهه، لكنه يتحمله ويتصبر.

الثالثة: الرضا، وهو أن يكون الأمران عنده سواء بالنسبة لقضاء الله وقدره؛ لأنه رجل يسبح في القضاء والقدر، أينما ينزل به القضاء والقدر إن أصيب بنعمة أو أصيب بضدها، فالكل عنده سواء، **لتمام رضاه بربه ﷻ يتقلب في تصرفات الرب.**

الرابعة: الشكر، وهو أعلى المراتب، فهو يرى أن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته، وربما لزيادة حسناته شكر الله على ذلك» (٣).

---

(١) أخرجه ابن جرير في التفسير (٢٨ / ١٢٣).

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٣٩٢).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١١٤) باختصار.

«الشرك على نوعين: شركٌ ظاهر، وشرك خفي.

فالشرك الظاهر هو: ما يكون في الأعمال الظاهرة كالذي يذبح لغير الله أو ينذر لغير الله أو يستغيث بغير الله إلى غير ذلك من أنواع الشرك الأكبر الذي يراه النّاس ويسمعونه.

أما النوع الثاني وهو: الشرك الخفي، فهذا لا يراه النّاس ولا يعلمونه؛ لأنه في القلوب.

فالرياء من شرك خفي؛ لأنه في المقاصد والنيّات التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

والرياء مأخوذٌ من: الرؤية، وذلك بأن يزيِّن العمل ويُحَسِّنه من أجل أن يراه النّاس ويمدحوه ويُثنوا عليه، أو لغير ذلك من المقاصد، فهذا يسمّى رياءً؛ لأنه يقصد رؤية النّاس له.

الرياء على قسمين:

القسم الأول: شركٌ أكبر وهو: إذا كان قصد الإنسان بجميع أعماله مراءاة النّاس، ولا يقصد وجه الله أبداً، وإنما يقصد العيش مع المسلمين، وحقن دمه، وحفظ ماله، فهذا رياء المنافقين.

القسم الثاني: قد يصدر من مؤمن، ويكون في بعض الأعمال.

وهو: أن يكون العمل فيه قصدٌ لله وفيه قصدٌ لغير الله.

وهذا هو الشرك الأصغر» (١).

(١) إعانة المستفيد المفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ٨٩) باختصار.

«الإخلاص لله أساس الدين، وروح التوحيد والعبادة، وهو أن يقصد العبد بعمله كله وجه الله وثوابه وفضله، فيقوم بأصول الإيمان الستة وشرائع الإسلام الخمس، وحقائق الإيمان التي هي الإحسان، وبحقوق الله، وحقوق عباده، مكملًا لها قاصدًا بها وجه الله والدار الآخرة، لا يريد بذلك رياء ولا سمعة ولا رياسة ولا دنيا، وبذلك يتم إيمانه وتوحيده.

ومن أعظم ما ينافي هذا مراءاة الناس والعمل لأجل مدحهم وتعظيمهم، أو العمل لأجل الدنيا، فهذا يقدح في الإخلاص والتوحيد.

واعلم أن الرياء فيه تفصيل:

- إن كان الحامل للعبد على العمل قصد مراءاة الناس، واستمر على هذا القصد الفاسد، فعمله حابط وهو شرك أصغر، ويخشى أن يتذرع به إلى الشرك الأكبر.
- وإن كان الحامل للعبد على العمل إرادة وجه الله مع إرادة مراءاة الناس، ولم يقلع عن الرياء بعمله، فظاهر النصوص أيضا بطلان هذا العمل.

وإن كان الحامل للعبد على العمل وجه الله وحده، ولكن عرض له الرياء في أثناء عمله، فإن دفعه وخلص إخلاصه لله لم يضره، وإن ساكنه واطمأن إليه نقص العمل، وحصل لصاحبه من ضعف الإيمان والإخلاص بحسب ما قام في قلبه من الرياء، وتقاوم العمل لله وما خالطه من شائبة الرياء.

والرياء آفة عظيمة يحتاج إلى علاج شديد، وتمرين النفس على الإخلاص، ومجاهدتها في مدافعة خواطر الرياء، والاستعانة بالله على دفعها لعل الله يخلص إيمان العبد ويحقق توحيده.

وأما العمل لأجل الدنيا وتحصيل أغراضها: فإن كانت إرادة العبد كلها لهذا القصد، ولم يكن له إرادة لوجه الله والدار الآخرة= فهذا ليس له في الآخرة من نصيب.

وأما من عمل العمل لوجه الله ولأجل الدنيا، والقصدان متساويان أو متقاربان فهذا وإن كان مؤمنًا= فإنه ناقص الإيمان والتوحيد والإخلاص، وعمله ناقص لفقده كمال الإخلاص.

وأما من عمل لله وحده وأخلص في عمله إخلاصًا تامًا ولكنه يأخذ على عمله جعلًا يستعين به على العمل والدين، فهذا لا يضر أخذه في إيمان العبد وتوحيده لكونه لم يرد بعمله الدنيا، وإنما أراد الدين وقصد أن يكون ما حصل له معينًا له على قيام الدين» (١).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٤٤) باختصار.

باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابًا من دون الله

«التحليل والتحريم حقٌّ لله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيه أحد، فمن حلّل أو حرّم من غير دليلٍ من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ فقد جعل نفسه شريكاً لله، ومن أطاعه فقد أشركه مع الله في التشريع، وهذا ما يسمى بشرك الطاعة، لأن العبادة معناها: طاعة الله سبحانه وتعالى بفعل أوامره وترك نواهيه، ومن ذلك: مسألة التحليل والتحريم، فهي داخلة في العبادة،

- فطاعة العلماء والأمراء في مثل هذا شرك، في تحليل ما حرّم الله أو تحريم ما أحل الله. فإن كان الذي أطاعهم يعلم أنهم خالفوا أمر الله في ذلك وتعمّد طاعتهم واستباح هذا، فهذا شركٌ أكبر يُخرِج من الملّة.
- وإنْ كان الذي أطاعهم يعتقد أن هذا حرام، ويعترف أن هذا خطأ، ولكنه أطاعهم لهوىً في نفسه أو رغبة في نفسه مع اعترافه بالمعصية، فهذا شرك أصغر.
- وأما طاعة العلماء والأمراء في غير معصية الله فهذا أمرٌ واجب» (١).

(١) إعانة المستفيد المفيد بشرح كتاب التوحيد (٢/ ١٠٧) باختصار.

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

«هذه الآية أخبر الله تعالى فيها باستفهامٍ إنكاري، يخاطب فيها بهذا الاستفهام الإنكاري هؤلاء المنافقين وأضرابهم.

الجاهلية: هي كل ما خالف الإسلام؛ لأن مبنى ذلك على الجهل، أما الإسلام والحق والدين الذي أنزله الله تعالى فإنه قد أنزله الله تعالى بعلم كما أخبر سبحانه وتعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾.

إذًا دين الله عزّ وجل مبنيٌ على العلم، فكلُّ ما عارضه وكلُّ ما خالفه حقيقته جهلٌ محض، ثم بين الله تعالى أن حكمه هو أحسن الأحكام: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ لكن هذا لا يدركه ولا يقر به إلا الذين يوقنون، الذين بلغوا الدرجة العظيمة من الإيمان، عند هؤلاء حكم الله عز وجل أحسن الأحكام.

هذه الآية تعم الحكمين القدري والشرعي، فلا شك أن كل ما يقدره الله ﷻ من أحكامه القدرية لا شك أنه أحسن ما يمكن أن يقع، والله ﷻ قدَّره لعلمه أن الحكمة فيه، **ولذلك أهل الإيقان يعلمون ذلك، فعندهم كل شيء قدَّره وحكم به سبحانه قدرًا وكونًا فإنه أحسن ما يمكن أن يقع، لو أصاب الإنسان حادث فإنه يحمد الله ﷻ عليه؛ لأنه في ظنه وعقيدته أنه أحسن ما يمكن أن يقع عليه في هذه اللحظة، هكذا عقيدته كل مسلم بلغ درجة الإيقان» (١).**

(١) شرح كتاب التوحيد للشيخ صالح سندي (١٠٤٣- ١٠٤٤) باختصار

www.alukah.net

«الواجب على العباد أن يوحدوا الله ﷻ في أسمائه وصفاته.

معنى توحيد الله في أسمائه وصفاته: أن يتيقن ويؤمن بأن الله ﷻ ليس له مثيل في أسمائه ولا في صفاته كما قال ﷻ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فنفى وأثبت، نفى أن يماثل الله شيء وأثبت له صفتي السمع والبصر.

قال العلماء: قدم النفي قبل الإثبات على القاعدة العربية المعروفة أن التخلية تسبق التحلية، فيجب أن يخلو القلب من كل براثن التمثيل ومن كل ما كان يعتقده المشركون الجاهلون من تشبيه الله بخلقه، أو تشبيه خلق الله به، فإذا خلا القلب من كل ذلك، وبرئ من التشبيه والتمثيل، أثبت ما يستحقه الله ﷻ من الصفات، فأثبت هنا صفتين وهما السمع والبصر، وسبب ذكر السمع والبصر هنا في مقام الإثبات دون غيرهما من الصفات، أو دون ذكر غير اسم السميع والبصير من الأسماء؛ لأن صفتي السمع والبصر مشتركة بين أكثر المخلوقات الحية، ومن المتقرر عند كل عاقل أن سمع هذه الحيوانات ليس متماثلًا، وأن بصرها وسمعها ليس مماثلًا لسمع الإنسان، وإنما اشتراكا في أصل المعنى، فلله ﷻ سمع وبصر يليق به، والإيمان بالأسماء والصفات يقوي اليقين بالله، وهو سبب لمعرفة الله، والعلم به» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد باختصار (٤٣٥-٤٣٦).

باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

«مناسبة هذا الباب للتوحيد: أن من أضاف نعمة الخالق إلى غيره فقد جعل معه شريكًا في الربوبية؛ لأنه أضافها إلى السبب على أنه فاعل، هذا من وجه، ومن وجه آخر: أنه لم يقم بالشكر الذي هو عبادة من العبادات، وترك الشكر مناف للتوحيد؛ لأن الواجب أن يُشْكَر الخالق المنعم ﷻ، فصارت لها صلة بتوحيد الربوبية وبتوحيد العبادة: فمن حيث إضافتها إلى السبب على أنه فاعل هذا إخلال بتوحيد الربوبية، ومن حيث ترك القيام بالشكر الذي هو العبادة هذا إخلال بتوحيد الألوهية» (١).

«الواجب على الخلق إضافة النعم إلى الله قولًا واعترافًا وبذلك يتم التوحيد، فمن أقر بقلبه أن النعم كلها من الله وحده، وهو بلسانه تارة يضيفها إلى الله، وتارة يضيفها إلى نفسه وعمله وإلى سعي غيره فهذا يجب على العبد أن يتوب منه، وأن لا يضيف النعم إلا إلى موليها.

فإن الشكر الذي هو رأس الإيمان مبني على ثلاثة أركان:

١- اعتراف القلب بنعم الله كلها عليه وعلى غيره.

٢- التحدث بها والثناء على الله بها.

٣- الاستعانة بها على طاعة المنعم وعبادته» (٢).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٠٢) باختصار.

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٥٧) باختصار.

باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل، على صفاة سوداء في ظلمة الليل،وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت. وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلانًا، هذا كله شرك» (١).

«فإذا كان الشرك في قلوب بني آدم أخفى من هذا، فنسأل الله أن يعين على التخلص منه، **ولهذا قال بعض السلف: "ما عالجت نفسي معالجتها على الإخلاص"**، ويروى عن النبي ﷺ أنه لما قال مثل هذا؟ قيل له: كيف نتخلص منه؟ قال: " قولوا: اللهم! إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلم.

وقوله: "والله وحياتك": فيها نوعان من الشرك.

الأول: الحلف بغير الله. الثاني: الإشراك مع الله بقوله: والله وحياتك، فضمها إلى الله بالواو المقتضية للتسوية.

والقسم بغير الله إن اعتقد الحالف أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة فهو شرك أكبر، وإلا فهو شرك أصغر.

وقوله: "لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص": فيه شرك إذا نظر إلى السبب دون المسبِّب، وهو الله ﷻ» (٢).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٢٣٠).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢١٠-٢١١) باختصار.

باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ: «لَا تَحلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْدُقْ، وَمَنْ حُلِفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللَّهِ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ» رواه ابن ماجه.

«مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد

أن الاقتناع بالحلف بالله من تعظيم الله؛ لأن الحالف أكّد ما حلف عليه بالتعظيم باليمين، وهو تعظيم المحلوف به فيكون من تعظيم المحلوف به أن يصدق ذلك الحالف، وعلى هذا يكون عدم الاقتناع بالحلف بالله فيه شيء من نقص تعظيم الله، وهذا ينافي كمال التوحيد.

والاقتناع بالحلف بالله لا يخلو من أمرين:

الأول: أن يكون ذلك من الناحية الشرعية، فإنه يجب الرضا بالحلف بالله، فيما إذا توجهت اليمين على المدعى عليه فحلف، فيجب الرضا بهذا اليمين بمقتضى الحكم الشرعي.

الثاني: أن يكون ذلك من الناحية الحسية، فإن كان الحالف موضع صدق وثقة، فإنك ترضى بيمينه.

قوله في الحديث: «لَا تَحلِفُوا بِآبَائِكُمْ»: جمع أب، ويشمل الأب والجد، وإن علا فلا يجوز الحلف بهم؛ لأنه شرك» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢١٠-٢١١) باختصار.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رجلا قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت، فقال: «أجعلتني لله ندًا؟ ما شاء الله وحده».

«مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن قول: (ما شاء الله وشئت) من الشرك الأكبر، أو الأصغر؛ لأنه إن اعتقد أن المعطوف مساو لله= فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه دونه لكن أشرك به في اللفظ= فهو أصغر، وقد ذكر بعض أهل العلم: أن من جملة ضوابط الشرك الأصغر؛ أن ما كان وسيلة للأكبر فهو أصغر.

قوله: «أجعلتني لله ندًا» الاستفهام للإنكار، وقد ضُمِّن معنى التعجب، ومن جعل للخالق ندًا، فقد أتى شيئًا عجابًا.

والند: هو النظير والمساوي أي: أجعلتني لله مساويًا في هذا الأمر؟!

قوله: «ما شاء الله وحده» أرشده النبي ﷺ إلى ما يقطع عنه الشرك، ولم يرشده إلى أن يقول ما شاء الله ثم شئت؛ حتى يقطع عنه كل ذريعة عن الشرك وإن بَعُدَت.

يستفاد من الحديث:

١- أن تعظيم النبي ﷺ بلفظ يقتضي مساواته للخالق= شرك.

٢- إنكار المنكر.

٣- حسن الدعوة إلى الله ﷻ» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٣١) باختصار.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ عز وجل: يُؤذيني ابْنُ آدَمَ؛ يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي الْأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ» متفق عليه.

«مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة: وهو أن سب الدهر من الألفاظ التي لا تجوز، والتخلص منها واجب واستعمالها مناف لكمال التوحيد، وهذا يحصل من الجهلة كثيرًا، فإنهم إذا حصل لهم في زمان شيء لا يسرهم سبوا ذلك الزمان، ولعنوا ذلك اليوم، أو لعنوا تلك السنة، أو شتموا الزمان، وهذا لا شك لا يتوجه إلى الزمن؛ لأن الزمن شيء لا يفعل وإنما يفعل فيه، وهو أذية لله ﷻ.

قوله: "باب من سب الدهر": السب في أصله: التنقص، أو الشتم، فيكون بتنقص الدهر، أو يكون بلعنه، أو بشتمه، أو بنسبة النقائص إليه، أو بنسبة الشر إليه، ونحو ذلك، وهذا كله من أنواع سبه.

وسب الدهر محرم، وهو درجات وأعلاها لعن الدهر؛ لأن توجه اللعن إلى الدهر أعظم أنواع المسبة وأشد أنواع الإيذاء، وليس من مسبة الدهر وصف السنين بالشدة، ولا وصف الأشهر بالنحس، ونحو ذلك؛ لأن المقصود بهذا أن الوصف ما حصل فيها كان من صفته كذا وكذا على هذا المتكلم، وأما سبه أن ينسب الفعل إليه فيسب الدهر لأجل أنه فعل به ما يسوؤه، فهذا هو الذي يكون أذية لله ﷻ» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٦٨-٤٦٩) باختصار.

قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الْأَمْلَاكِ».

«مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن من تسمى بهذا الاسم فقد جعل نفسه شريكًا مع الله فيما لا يستحقه إلا الله؛ لأنه لا أحد يستحق أن يكون قاضي القضاة، أو حاكم الحكام، أو ملك الأملاك، إلا الله.

فالله هو القاضي فوق كل قاض، وهو الذي له الحكم، ويُرجَع إليه الأمر كله.

قوله ﷺ: «إن أخنع اسم» أي: أوضع اسم، والمراد بالاسم المسمى، فأوضع اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك؛ لأنه جعل نفسه في مرتبة عليا، فالملوك أعلى طبقات البشر من حيث السلطة فجعل مرتبته فوق مرتبتهم، وهذا لا يكون إلا لله ﷻ، ولهذا عوقب بنقيض قصده، فصار أوضع اسم عند الله إذ قصده أن يتعاظم حتى على الملوك، فأهين، ولهذا كان أحب اسم عند الله ما دل على التذلل والخضوع، مثل: عبد الله، وعبد الرحمن، وأبغض اسم عند الله ما دل على الجبروت، والسلطة، والتعظيم.

وفيه النهي عن التسمي بملك الأملاك وما في معناه، مثل: قاضي القضاة، وحاكم الحكام، وشاهان شاه في الفارسية.

وفيه التفطن للتغليظ في هذا ونحوه، مع القطع بأن القلب لم يقصد معناه: أي: لم يقصد أنه ملك الأملاك أو قاضي القضاة» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢٤٩-٢٥٥) باختصار.

عن أبي شريح: أنه كان يكنى أبا الحكم، فقال له النبي ﷺ: «إن الله هو الحكم، وإليه الحكم»، فقال: إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين، فقال: «ما أحسن هذا! فمالك من الولد؟»، قلت: شريح، ومسلم، وعبد الله، قال: «فمن أكبرهم؟»، قلت: شريح، قال: «فأنت أبو شريح» (١).

«أسماء الله ﷻ يجب احترامها، وتعظيمها، ومن احترامها أن يجعل ما لا يصلح إلا لله منها لله وحده، وألا يسمى به البشر.

وفي الحديث السابق إنكار النبي عليه الصلاة والسلام على أبي شريح هذه التكنية فقال له: «إن الله هو الحكم».

فتكنية المخلوق بأبي الحكم غير لائقة؛ لأن الحكم من أسماء الله، والله ﷻ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الحكم، وهو: بلوغ الغاية في الحكم، والفصل بين المتخاصمين، راجع إلى من له الحكم وهو الله ﷻ، وأما البشر فإنهم لا يصلحون أن يكونوا حكامًا أو أن يكون الواحد منهم حكمًا على وجه الاستقلال، والمقصود أن من الأدب ألا يسمى أحد بشيء يختص الله ﷻ به» (٢).

(١) رواه أبو داود.

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٧٧- ٤٧٨) باختصار.

«مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة: وهو أن الهزل والاستهزاء بالله أو بالرسول أو بالقرآن مناف لأصل التوحيد، وكفر مخرج من الملة، وفي قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ هذه الآية نص في أن المستهزئ بالله، وبالرسول، وبآيات الله ﷻ، والمقصود بها آيات الله الشرعية، يعني:القران، أن هذا المستهزئ كافر، وأنه لا ينفعه اعتذاره بأنه كان في هزل ولعب بل هو كافر؛ لأن تعظيم الله ﷻ وتوحيده يوجب عليه أن لا يستهزئ.

وإذا هزل بهيئة أحد الناس وهيئته يكون فيها التزام بالسنة، وهذا الاستهزاء راجع إلى تدين هذا المرء، وليس راجعًا إلى الدين، فيعرف بأن هذا سنة عن النبي ﷺ فإذا علم أنه سنة، وأقر بذلك، وأن النبي فعله ثم استهزأ، بمعنى: استنقص أو هزأ بالذي اتبع السنة مع علمه بأنها سنة وإقراره بصحة كونها سنه فهذا رجع إلى الاستهزاء بالرسول، وكذلك الاستهزاء بالله، أو بصفاته، أو بأسمائه، أو بالقرآن فإن هذا كفر، وإن كان الاستهزاء غير ذلك فينظر: إن كان راجعًا إلى أحد الثلاثة فهو كفر أكبر، وإن كان غير ذلك فإنه يكون محرمًا» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٨١- ٤٨٣) باختصار.

«الواجب على العبد أن يتحرز في ألفاظه وبخاصة فيما يتصل بالله ﷻ، أو بأسمائه وصفاته، أو بأفعاله وإنعامه، أو بحكمته، والتحرز في ذلك من كمال التوحيد؛ لأنه لا يصدر التحرز إلا عن قلب معظم لله، يعلم أن الله ﷻ مطلع عليه، وأنه سبحانه هو ولي الفضل، وأن يحب فوق كل محبوب، وأن يعظم فوق كل معظم، والواجب أن يعلم العبد أنه فقير غير مستحق لشيء على الله ﷻ وأن الله هو الرب المستحق على العبد أن يشكره، وأن يذكره، وأن ينسب النعم إليه، أما العبد فليس مستحقًا في الدنيا بحق واجب على الله ﷻ إلا ما أوجبه الله ﷻ على نفسه.

ومثل قول القائل: هذا بعملي، وأنا محقوق به، وإنما الواجب على العبد أن ينسب النعم جميعًا لله، وأن يشعر بأنه لا يستحق شيئًا على الله، وإنما الله هو المستحق للعبودية، وانظر إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه كيف علمه النبي ﷺ أن يقول في آخر صلاته: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»، فتمام التوحيد أن يعظم العبد ربه ﷻ، وأن لا يعتقد أنه مستحق للنعم، بل هو فضل الله والله ذو الفضل العظيم» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٨٩- ٤٩١) باختصار.

باب قوله تعالى: {فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}

«من شكر النعم أن الله ﷻ إذا أنعم على عبد بولد، وجعله سليمًا معافى، ورزقه بتلك النعمة -التي هي نعمة الولد- أن يشكر الله عليها، ومن عدم شكر النعمة تلك، ونسبتها إلى غير الله: أن يعبد الولد لغير الله ﷻ فإن هذا مضاد للاعتراف بأن المنعم بذلك الولد هو الله ﷻ وقد يصل ذلك إلى حد الشرك الأكبر، إذا عبد الولد لولي أو لعبد صالح، وهو يعني حقيقة العبودية التي هي أن هذا عبد لذاك؛ لأن ذاك إله. كمن يعبد لبعض المشايخ، فيقول: عبد السيد ويعنون به: السيد البدوي، ويقولون: عبد زينب، وعبد علي، وعبد عمرو، ونحو ذلك من الأسماء التي فيها اعتقادات.

أجمع أهل العلم أن التعبيد لغير الله محرم؛ لأن فيه إضافة النعم لغير الله، وفيه إساءة أدب مع الربوبية والإلهية، فإن تعبيد الناس لغير الله ﷻ غلط من جهة المعنى، وفيه نوع هضم لمقام الربوبية، فلذلك حرم في شريعة الإسلام هذه التسمية، فمن عبد ولدًا لغير الله ﷻ فقد نافى شكر النعمة، والواجب على العبد أن يحقق التوحيد، وأن لا ينسب النعم لغير الله ﷻ فإن وقع منه ذلك فواجب عليه أن يبادر بالتوبة، وألا يقيم على ذلك» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٤٩٥- ٥٠٠) باختصار.

باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾

«حقيقة الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عن مقصودها لفظًا أو تصريحًا أو تأويلًا أو تحريفًا، وكل ذلك مناف للتوحيد والإيمان.

وأصل التوحيد: إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله من الأسماء الحسنى، ومعرفة ما احتوت عليه من المعاني الجليلة، والمعارف الجميلة، والتعبد لله بها ودعاؤه بها.

فكل مطلب يطلبه العبد من ربه من أمور دينه ودنياه. فليتوسل إليه باسم مناسب له من أسماء الله الحسنى، فمن دعاه لحصول الرزق فليسأله باسمه الرزاق، ولحصول رحمة ومغفرة فباسمه الرحيم.

وأفضل من ذلك أن يدعوه بأسمائه وصفاته دعاء العبادة، وذلك باستحضار معاني الأسماء الحسنى وتحصيلها في القلوب حتى تتأثر القلوب بآثارها ومقتضياتها، وتمتلئ بأجل المعارف.

فمثلًا: أسماء العظمة والكبرياء= تملأ القلوب تعظيمًا لله وإجلالًا له، وأسماء الجمال والإحسان= تملأ القلب محبةً لله وشوقًا له وحمدًا، وأسماء العز والحكمة= تملأ القلب خضوعًا لله وخشوعًا، وأسماء العلم والخبرة= تملأ القلب مراقبة لله في الحركات والسكنات، وأسماء الغنى واللطف= تملأ القلب افتقارًا واضطرارًا إليه، فهذه المعارف التي تحصل للقلوب بسبب معرفة العبد بأسمائه وصفاته، وهي أفضل العطايا من الله لعبده، وهي روح التوحيد» (١).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٨١) باختصار.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَقُولُ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ».

«معنى السلام: الذي يعطي السلامة ويرزقها، وأثر هذا الاسم في ملكوت الله أن كل سلامة في ملكوت الله من كل شر يؤذي الخلق، فإنها من آثار هذا الاسم، فإنه لكون الله ﷻ هو السلام فإنه يفيض السلامة على العباد، إذا كان كذلك فالله ﷻ هو الذي يفيض السلام، وليس العباد هم الذين يعطون الله السلامة، فإن الله ﷻ هو الغني عن خلقه بالذات، والعباد فقراء بالذات، فالعبد هو الذي يعطى السلامة، والله ﷻ هو الذي يسلم؛ ولهذا كان من الأدب الواجب في جناب الربوبية وأسماء الله وصفاته أن لا يقال: السلام على الله، بل أن يقال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فتدعو له بأن يبارك باسم الله (السلام) أو أن تحل عليه السلامة.

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: فهي أن الأدب مع أسماء الله ﷻ وصفاته ألا يخاطب بهذا الخطاب، وأن لا يقال: السلام على الله؛ لأن في هذا نقصًا في تحقيق التوحيد، فتحقيق التوحيد الواجب ألا تقال هذه الكلمة؛ لأن الله غني عن عباده، والفقراء هم الذين يحتاجون إلى السلام» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥١١) باختصار.

قال النبي ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلِ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

«إن المطالب الدينية: كسؤال الرحمة والمغفرة، والمطالب الدنيوية المعينة على الدين: كسؤال العافية والرزق وتوابع ذلك، قد أمر العبد أن يسألها من ربه طلبًا ملحًا جازمًا، وهذا الطلب عين العبودية ومخها، ولا يتم ذلك إلا بالطلب الجازم الذي ليس فيه تعليق بالمشيئة؛ لأنه مأمور به، وهو خير محض لا ضرر فيه، والله تعالى لا يتعاظمه شيء.

وبهذا يظهر الفرق بين هذا وبين سؤال بعض المطالب المعينة التي لا يتحقق مصلحتها ومنفعتها، ولا يجزم أن حصولها خير للعبد. فالعبد يسأل ربه ويعلقه على اختيار ربه له أصلح الأمرين، كالدعاء المأثور: «اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيرا لي»، وكدعاء الاستخارة.

فافهم هذا الفرق اللطيف البديع بين طلب الأمور النافعة المعلوم نفعها وعدم ضررها، وأن الداعي يجزم بطلبها ولا يعلقها، وبين طلب الأمور التي لا يدري العبد عن عواقبها، ولا رجحان نفعها على ضرها، فالداعي يعلقهما على اختيار ربه الذي أحاط بكل شيء علمًا وقدرةً ورحمةً ولطفًا» (١).

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٨٥) باختصار.

قال النبي ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ، وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي، مَوْلَايَ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي، أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي».

«تحقيق التوحيد لا يكون إلا بالاحتراس من الألفاظ التي يكون فيها إساءة أدب مع ربوبية الله ﷻ، أو مع أسماء الله ﷻ وصفاته، ولهذا عقد المؤلف هذا الباب فقال: "باب لا يقول عبدي وأمتي".

فإن عبودية البشر لله ﷻ عبودية حقيقة؛ لأنه هو الرب، وهو المتصرف، وهو خالق الخلق، وهو المدبر لشئونهم، فالله ﷻ هو المتفرد بذلك سبحانه، فإذا قال الرجل لرقيقه: هذا عبدي، وهذه أمتي، كان فيه نسبة عبودية أولئك له، وهذا فيه منافاة لكمال الأدب الواجب مع الله ﷻ؛ وسبب النهي عن لفظ: «عبدي وأمتي» من وجوب تعظيم الربوبية، وعدم انتقاص عبودية الخلق لله ﷻ.

فيجب أن يتجنب الألفاظ التي تنافي الأدب مع مقام ربوبية الله ﷻ وأسمائه سبحانه وتعالى، وعليه فلا يكون جائزًا أن يقول: عبدي وأمتي، أو أن يقول: أطعم ربك، هذا كله مختص بالتعبيد أو الربوبية للمكلفين، أما إضافة الربوبية إلى غير المكلف فلا بأس بها؛ لأن حقيقة العبودية لا تتصور فيها، كأن تقول: رب الدار، ورب المنزل، فإن الدار والمنزل إضافة ملك؛ لأنها ليست مخاطبة بالأمر والنهي وليس يحصل منها خضوع أو تذلل» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥١٩- ٥٢١) باختصار.

قال النبي ﷺ: «من اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ».

«من تعظيم الله التعظيم الواجب: ألا يرد أحد سأل بالله ﷻ فإذا سأل سؤالًا وجعل الله ﷻ هو الوسيلة فإنه لا يجوز أن يرد تعظيمًا لله ﷻ، فإذا سأل أحد بالله فإن قلب الموحد لا يكون رادًا له؛ لأنه معظم لله ﷻ، وللمسألة ثلاثة أحوال:

حال يحرم فيها رد السائل، وحال يكره فيها رد السائل، وحال يباح فيها رد السائل بالله.

فيحرم رد السائل بالله: إذا توجه لمعين في أمر معين، كما إذا خصك بهذا التوجه، وسألك بالله أن تعينه وأنت قادر على أن تؤتيه مطلوبه.

ويستحب: إذا كان التوجه ليس لمعين، كأن يسأل أشخاصًا كثيرين،

ويباح: إذا كان من سأل بالله يعرف منه الكذب.

قوله ﷺ: «ومن صنع إليكم معروفًا فكافئوه» وعلاقة هذا بالتوحيد أن الذي صنع له معروف يكون في قلبه ميل لهذا الذي صنع إليه المعروف، ومعلوم أن **تحقيق التوحيد لا يتم إلا بأن يكون القلب خاليًا من كل ما سوى الله** ﷻ وأن يكون ذله وخضوعه لله ﷻ وتخليص القلب من ذلك يكون بالمكافأة على المعروف» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٣- ٥٢٥) باختصار.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يُسْأَلُ بِوَجْهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ».

قوله: «لا يسأل» هذا نفي مضمن النهي المؤكد، فعدل عن النهي إلى النفي لكي يتضمن أن هذا منهي عنه وأنه لا يسوغ وقوعه أصلًا لما يجب من تعظيم الله ﷻ وتعظيم توحيده، وتعظيم أسماء الله ﷻ وصفاته.

قوله: «بوجه الله» وجه الله ﷻ صفة ذات من صفاته سبحانه، وهو غير الذات، فالله ﷻ متصف بالوجه على ما يليق بجلاله وعظمته.

قوله: «إلا الجنة» الجنة: هي دار الكرامة التي أعدها الله ﷻ للمكلفين من عباده الذين أجابوا رسله، ووحدوه، وعملوا صالحًا، وهي أعظم مطلوب؛ لأن الحصول عليها حصول على أعظم ما يسر به العبد، فلهذا كان من غير السائغ واللائق بل كان من غير الجائز أن يسأل بوجه الله ﷻ إلا أعظم مطلوب، فإن الله ﷻ لا يسأل بصفاته الأشياء الحقيرة الوضيعة؛ بل يسأل بها أعظم المطلوب، وذلك لكي يتناسب السؤال مع وسيلة السؤال.

وقد قال العلماء: إن وجه الله ﷻ يسأل به الجنة، ولا يجوز أن يسأل به غيرها إلا ما كان وسيلة إلى الجنة، أو كان من الأمور العظيمة التي هي من جنس السؤال بالجنة، أو من لوازم السؤال بالجنة كالنجاة من النار، وكالتثبيت عند السؤال، ونحو ذلك» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٧- ٥٢٨) باختصار.

قال رسول الله ﷺ: «احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ: قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ. فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» رواه مسلم.

«قلب الموحد المؤمن، لا يكون محققًا مكملًا للتوحيد حتى يعلم أن كل شيء بقضاء الله ﷻ وبقدره، وأن ما فعله سببًا من الأسباب والله ﷻ ماض قدره في خلقه، وأنه مهما فعل فإنه لن يحجز قدر الله ﷻ، فإذا كان كذلك كان القلب معظمًا لله ﷻ في تصرفه في ملكوته، وكان القلب لا يخالطه تمني أن يكون شيء فات على غير ما كان، وأنه لو فعل كذا لتغير ذلك السابق، بل الواجب أن يعلم أن قضاء الله نافذ، وأن قدره ماض، وأن ما سبق من الفعل قد قدره الله ﷻ وقدر نتائجه، فالعبد لا يمكنه أن يرجع إلى الماضي فيغير. وإذا استعمل لفظ (لو) أو لفظ (ليت) وما أشبهها من الألفاظ التي تدل على الندم، وعلى التحسر على ما فات، فإن ذلك يضعف القلب، ويجعله متعلقًا بالأسباب، وكمال التوحيد إنما يكون بعدم الالتفات إلى الماضي، فإن الماضي الذي حصل إما أن يكون مصيبة أصيب بها العبد فلا يجوز له أن يقول: لو فعلت كذا لما حصل كذا، بل الواجب عليه أن يصبر على المصيبة، وأن يرضى بفعل الله ﷻ، وإذا كان ما أصابه في الماضي معصية فإن عليه أن يسارع في التوبة» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٢٩) باختصار.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال رسول اللَّهِ ﷺ: « لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وَخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ».

قوله: « لا تسبوا الريح»: (لا): ناهية. والسب: الشتم، والعيب، والقدح، واللعن، وما أشبه ذلك، وإنما نهى عن سبها؛ لأن سب المخلوق سب لخالقه، لأنها مدبرة مسخرة على ما تقتضيه حكمة الله عز وجل.

قوله: «من خير هذه الريح»: الريح نفسها فيها خير وشر، فقد تكون عاصفة تقلع الأشجار، وتهدم الديار، وتفيض البحار والأنهار، وقد تكون هادئة تبرد الجو وتكسب النشاط.

قوله: «وخير ما فيها»: أي: ما تحمله؛ لأنها قد تحمل خيرًا= كتلقيح الثمار، وقد تحمل رائحة طيبة الشم، وقد تحمل شرًا= كإزالة لقاح الثمار، وأمراض تضر الإنسان والبهائم.

قوله: «وخير ما أمرت به»: مثل إثارة السحاب، وسوقه إلى حيث شاء الله.

قوله: «ونعوذ بك»: أي: نعتصم ونلجأ.

قوله: «من شر هذه الريح»: أي: شرها بنفسها= كقلع الأشجار، ودفن الزروع، وهدم البيوت.

قوله: «وشر ما فيها»: أي: ما تحمله من الأشياء الضارة.

قوله: «وشر ما أمرت به»: كالإهلاك والتدمير» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٣٧٩- ٣٨٠) باختصار.

بابُ قولِ اللهِ تعالى: {يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ...}

وقوله تعالى: «وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ..»

«فُسِّرَ هَذَا الظَّنُّ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَأَنَّ أَمْرَهُ سَيَضْمَحِلُّ، وَقَدْ فُسِّرَ بِظَنِّهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ لَمْ يَكُنْ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَلَا حِكْمَةَ لَهُ فِيهِ، فَفُسِّرَ بِإِنْكَارِ الْحِكْمَةِ، وَإِنْكَارِ الْقَدَرِ، وَإِنْكَارِ أَنْ يُتِمَّ أَمْرَ رَسُولِهِ، وَيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَذَا ظَنَّ السَّوْءِ، وَظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ الْمَنْسُوبَ إِلَى أَهْلِ الْجَهْلِ، وَظَنَّ غَيْرِ الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُ ظَنُّ غَيْرِ مَا يَلِيقُ بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا، وخِلَافِ مَا يَلِيقُ بِحِكْمَتِهِ وَحَمْدِهِ، فَمَنْ ظَنَّ بِأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ رَسُولَهُ، وَلَا يُتِمُّ أَمْرَهُ، وَلَا يُؤَيِّدُهُ وَيُؤَيِّدُ حِزْبَهُ، وَيُعْلِيهِمْ وَيُظْفِرُهُمْ بِأَعْدَائِهِ، وَيُظْهِرُهُمْ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ لَا يَنْصُرُ دِينَهُ وَكِتَابَهُ، وَأَنَّهُ يُدِيلُ الشِّرْكَ عَلَى التَّوْحِيدِ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَنَسَبَهُ إِلَى خِلَافِ مَا يَلِيقُ بِكَمَالِهِ وَجَلَالِهِ وَصِفَاتِهِ وَنُعُوتِهِ، فَإِنَّ حَمْدَهُ وَعِزَّتَهُ وَحِكْمَتَهُ وَإِلَهِيَّتَهُ تَأْبَى ذَلِكَ، وَتَأْبَى أَنْ يُذَلَّ حِزْبُهُ وَجُنْدُهُ، وَأَنْ تَكُونَ النُّصْرَةُ الْمُسْتَقِرَّةُ وَالظَّفَرُ الدَّائِمُ لِأَعْدَائِهِ الْمُشْرِكِينَ بِهِ الْعَادِلِينَ بِهِ، فَمَنْ ظَنَّ بِهِ ذَلِكَ فَمَا عَرَفَهُ وَلَا عَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَلَا عَرَفَ صِفَاتَهُ وَكَمَالَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ فَمَا عَرَفَهُ وَلَا عَرَفَ رُبُوبِيَّتَهُ.

وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ قَدَّرَ مَا قَدَّرَهُ مِنْ ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ عَلَيْهَا، وَأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا صَدَرَ عَنْ مَشِيئَةٍ مُجَرَّدَةٍ عَنْ حِكْمَةٍ وَغَايَةٍ مَطْلُوبَةٍ هِيَ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ فَوْتِهَا، وَأَنَّ تِلْكَ الْأَسْبَابَ الْمَكْرُوهَةَ الْمُفْضِيَةَ إِلَيْهَا لَا يَخْرُجُ تَقْدِيرُهَا عَنِ الْحِكْمَةِ لِإِفْضَائِهَا إِلَى مَا يُحِبُّ، وَإِنْ كَانَتْ مَكْرُوهَةً لَهُ فَمَا قَدَّرَهَا سُدًى، وَلَا أَنْشَأَهَا عَبَثًا، وَلَا خَلَقَهَا بَاطِلًا، **وَأَكْثَرُ النَّاسِ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِهِمْ وَفِيمَا يَفْعَلُهُ بِغَيْرِهِمْ، وَلَا يَسْلَمُ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَرَفَ أَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ، وَعَرَفَ مُوجِبَ حَمْدِهِ وَحِكْمَتِهِ، فَمَنْ قَنَطَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَيِسَ مِنْ رَوْحِهِ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ**، وَمَنْ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ إِذَا تَرَكَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعَوِّضْهُ خَيْرًا مِنْهُ أَوْ مَنْ فَعَلَ لِأَجْلِهِ شَيْئًا لَمْ يُعْطِهِ أَفْضَلَ مِنْهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ.

وَبِالْجُمْلَةِ فَمَنْ ظَنَّ بِهِ خِلَافَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رُسُلُهُ، أَوْ عَطَّلَ حَقَائِقَ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَوَصَفَتْهُ بِهِ رُسُلُهُ فَقَدْ ظَنَّ بِهِ ظَنَّ السَّوْءِ، فَأَكْثَرُ الْخَلْقِ بَلْ كُلُّهُمْ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ السَّوْءِ، فَإِنَّ غَالِبَ بَنِي آدَمَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ مَبْخُوسُ الْحَقِّ نَاقِصُ الْحَظِّ، وَأَنَّهُ يَسْتَحِقُّ فَوْقَ مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: ظَلَمَنِي رَبِّي، وَهُوَ بِلِسَانِهِ يُنْكِرُهُ، وَلَا يَتَجَاسَرُ عَلَى التَّصْرِيحِ بِهِ، وَمَنْ فَتَّشَ نَفْسَهُ وَتَغَلْغَلَ فِي مَعْرِفَةِ دَفَائِنِهَا وَطَوَايَاهَا رَأَى ذَلِكَ فِيهَا كَامِنًا كُمُونَ النَّارِ فِي الزِّنَادِ، فَاقْدَحْ زِنَادَ مَنْ شِئْتَ يُنْبِئْكَ شَرَارُهُ عَمَّا فِي زِنَادِهِ.

وَلَوْ فَتَّشْتَ مَنْ فَتَّشْتَهُ لَرَأَيْتَ عِنْدَهُ تَعَتُّبًا عَلَى الْقَدَرِ وَمَلَامَةً لَهُ وَاقْتِرَاحًا عَلَيْهِ خِلَافَ مَا جَرَى بِهِ، وَأَنَّهُ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ كَذَا وَكَذَا، فَمُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ، وَفَتِّشْ نَفْسَكَ هَلْ أَنْتَ سَالِمٌ مِنْ ذَلِكَ.

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عظيمَةٍ ... وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِخَالُكَ نَاجِيًا

فَلْيَعْتَنِ اللَّبِيبُ النَّاصِحُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا الْمَوْضِعِ، وَلْيَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَلِيَسْتَغْفِرْهُ كُلَّ وَقْتٍ مِنْ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ ظَنَّ السَّوْءِ، وَلْيَظُنَّ السَّوءَ بِنَفْسِهِ الَّتِي هِيَ مَأْوَى كُلَّ سُوءٍ، وَمَنْبَعُ كُلَّ شَرٍّ الْمُرَكَّبَةِ عَلَى الْجَهْلِ وَالظُّلْمِ، فَهِيَ أَوْلَى بِظَنِّ السَّوءِ مِنْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَعْدَلِ الْعَادِلِينَ وَأَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ، الْغَنِيِّ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ الْغِنَى التَّامُّ وَالْحَمْدُ التَّامُّ وَالْحِكْمَةُ التَّامَّةُ، الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ سَوْءٍ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَذَاتُهُ لَهَا الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَصِفَاتُهُ كَذَلِكَ، وَأَفْعَالُهُ كَذَلِكَ، كُلُّهَا

فَلَا تَظُنَّنَّ بِرَبِّكَ ظَنَّ سَوْءٍ ... فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ

وَلَا تَظُنَّنَّ بِنَفْسِكَ قَطُّ خَيْرًا ... وَكَيْفَ بِظَالِمٍ جَانٍ جَهُولِ

وَقُلْ يَا نَفْسُ مَأْوَى كُلِّ سُوءٍ ... أَيُرْجَى الْخَيْرُ مِنْ مَيْتٍ بَخِيلِ

وَظُنَّ بِنَفْسِكَ السُّوأَى تَجِدْهَا ... كَذَاكَ وَخَيْرُهَا كَالْمُسْتَحِيلِ

وَمَا بِكَ مِنْ تُقًى فِيهَا وَخَيْرٍ ... فَتِلْكَ مَوَاهِبُ الرَّبِّ الْجَلِيلِ

وَلَيْسَ بِهَا وَلَا مِنْهَا وَلَكِنْ ... مِنَ الرَّحْمَنِ فَاشْكُرْ لِلدَّلِيلِ (١)

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٠٥- ٢١١) باختصار.

قال ابن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبًا، ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله منه، حتى يؤمن بالقدر. ثم استدل بقول النبي ﷺ: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» . رواه مسلم.

وعن عبادة بن الصامت: أنه قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني».

«للإيمان بالقدر فوائد عظيمة منها:

١- أنه من تمام توحيد الربوبية.

٢- أنه يوجب صدق الاعتماد على الله ﷻ.

٣- أنه يوجب للقلب الطمأنينة.

٤- منع إعجاب المرء بعمله إذا عمل عملًا يشكر عليه؛ لأن الله هو الذي من عليه وقدره له.

٥- عدم حزنه على ما أصابه.

٦- فعل الأسباب» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٠٨) باختصار.

قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة» أخرجاه.

ولهما عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ قال: «أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله».

ولهما عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب بها في جهنم».

«مناسبة الباب لكتاب التوحيد من جهتين:

الجهة الأولى: جهة المضاهاة بخلق الله ﷻ.

والثانية: أنه وسيلة للإشراك؛ فإن شرك كثير من المشركين كان من جهة الصور، فكان من تحقيق التوحيد ألا تقر الصور لأجل أن الصورة وسيلة من وسائل المشركين في عباداتهم.

ولمسلم عن أبي الهياج قال: قال لي علي: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ : «أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته» . في هذا الحديث التنبيه على تحريم التصوير، وهي أنه وسيلة من وسائل الشرك، ووجه الاستدلال: أنه قرن بين الصورة والقبر المشرف في وجوب إزالتهما، وأن بقاء القبر المشرف وبقاء الصورة أيضًا من وسائل الشرك، وبقاء القبور مشرفة يدعو إلى تعظيمها وذلك من وسائل الشرك» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٥٧- ٥٦١) باختصار.

www.alukah.net

«مناسبة الباب لكتاب التوحيد: أن كثرة الحلف بالله يدل على أنه ليس في قلب الحالف من تعظيم الله ما يقتضي هيبة الحلف بالله، وتعظيم الله تعالى من تمام التوحيد.

قال تعالى: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ هذه الآية ذكرها الله في سياق كفارة اليمين، وكل يمين لها ابتداء وانتهاء ووسط، فالابتداء الحلف، والانتهاء الكفارة، والوسط الحنث، وهو أن يفعل ما حلف على تركه، أو يترك ما حلف على فعله، وعلى هذا كل يمين على شيء ماض فلا حنث فيه، وما لا حنث فيه فلا كفارة فيه، لكن إن كان صادقاً، فقد بر، وإلا فهو آثم؛ لأن الكفارة لا تكون إلا على شيء مستقبل، ومن حفظ اليمين إخراج الكفارة بعد الحنث، والكفارة واجبة فورًا؛ لأن الأصل في الواجبات هو الفورية، وهو قيام بما تقتضيه اليمين.

والكفارة: إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم، أو تحرير رقبة، وهذا على سبيل التخيير، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام.

حفظ اليمين له معان:

١- حفظها ابتداء، وذلك بعدم كثرة الحلف.

٢- حفظها وسطًا، وذلك بعدم الحنث فيها.

٣- حفظها انتهاء في إخراج الكفارة بعد الحنث.

٤- أن لا يحلف بغير الله ﷻ» (١).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٤٥٤- ٤٥٧) باختصار.

www.alukah.net

قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ بَعۡدَ تَوۡكِيدِهَا﴾.

«مناسبة هذا الباب لكتاب التّوحيد: أن نقض العهود فيه نقصٌ في التّوحيد؛ لأنّه يدلّ على عدم احترام عهدِ الله، ومن لم يحترم عهد الله، فإنّ هذا يدلّ على نقص توحيده، ومن وفى بعهد الله وعظم عهد الله فهذا يدلُّ على كمال توحيده.

قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا﴾ هذا أمرٌ من الله ﷻ بالوفاء بالعهود.

﴿بِعَهْدِ اللهِ﴾ المراد به: الميثاق الذي يُعقد بين النّاس، وأضافه إلى نفسه إضافة تشريف؛ ممّا يدلّ على تعظيم العهد؛ لأن الشيء إذا أضيف إلى الله فهذا دليلٌ على تعظيمه، مثل: بيتِ الله، وناقة الله، وعبد الله، فالإضافة هنا تقتضي تعظيم المضاف، فهي تدلّ على عظم العهد، ووجوب احترامه.

﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ أي: عاهدتم طرفاً آخر من النّاس، وهذا يشمل الذي بين الله وبين خلقه والعهد الذي بين المسلمين وبين الكُفّار، ويشمل العهد الذي بين وليّ أمر المسلمين وبين الرعيّة، ويشمل العهد الذي بين أفراد النّاس بعضهم مع بعض، فهذه العهود العامّة والخاصّة يجب الوفاء بها، لأنّ نقض العُهود من علامات المنافقين.

فهذه الآية فيها شاهدٌ واضح للترجمة وهي: النّهي عن إخفاء العهد ونقض العهد من غير مسوغ ومن غير سبب يقتضي ذلك» (١).

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٢٨٥- ٢٨٦) باختصار.

عَنْ جُنْدَبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلَانٍ. وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ؛ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ» رواه مسلم.

«الإقسام على الله هو: الحلف على الله، فإن كان هذا الحلف على الله بأنّه لا يرحم عباده ولا يغفرُ لهم فهذا= محرَّم وهو سوء أدبٍ مع الله تعالى ومخل بالتوحيد، لأنّ معناه: الحجّر على الله تعالى، ولا أحدٌ يمنع الله من أن يتصرّف في خلقه.

قوله ﷻ: «إني قد غفرتُ له» الله ﷻ يوفِّق العبد للتوبة ولو قبل الموت بلحظات، وقد يكون الإنسان كافراً، ثم يمنّ الله عليه بالتوبة والإسلام، ويموت في لحظته ويدخُل الجنّة، وقد يكون الإنسان على عمل صالح ثم يرتد عن الإسلام في آخر لحظة ثم يدخل النّار، **فالأعمال بالخواتيم والمدار على التوبة الصادقة.**

قوله ﷻ: «أحبطتُ عملك» أي: أبطلته. فهذه الكلمة أبطلت عمله.

ففي الحديث: خطر اللّسان، ولهذا قال أبو هريرة رضي الله عنه: "تكلّم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته" يعني: أهلكت دنياه وآخرته.

وفيه: تحريم إعجاب الإنسان بنفسه واحتقاره للآخرين.

وفيه: ووجوب التحفُّظ عند إنكار المنكر من الكلام الذي يكون وبَالاً على صاحبه» (١).

(١) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد (٣٠٢- ٣٠٣) باختصار.

«أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جُهِدَتِ الْأَنْفُسُ، وَضَاعَتِ الْعِيَالُ، وَنُهِكَتِ الْأَمْوَالُ، وَهَلَكَتِ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَسْقِ اللَّهَ لَنَا، فَإِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَيْحَكَ، أَتَدْرِي مَا تَقُولُ؟»، وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ : «وَيْحَكَ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ».

«قوله: «لا يستشفع»: يعني: لا يجعل الله شفيعًا على الخلق؛ لأن شأن الله ﷻ أعظم وأجل من أن يستشفع به، ويجعل واسطة للانتفاع من أحد من الخلق، فالشفاعة: أن تأتى إلى أحد، وتطلب أن يكون شفيعًا عند آخر؛ لأن ذلك الآخر هو الذي يملك ما تريد والنفع عنده، وهذا يكون واسطة، ولا يستطيع أن ينفعك هو بنفسه إلا بأن يتوسط. والله ﷻ لا يجوز أن يظن به ذلك الظن، لأنه ظن سوء بالله ﷻ فالله سبحانه لا يصلح أن يجعل واسطة لأحد، أو إلى أحد من الخلق أو على أحد من الخلق، بل هو ﷻ الذي يملك الأمور جميعًا، فالاستشفاع بالله على الخلق يعني: أن يجعل الله واسطة يتوسط العبد بربه على أحد من الخلق، وهذا مناف لكمال التوحيد.

فشأن الله أعظم من أن يستشفع به على أحد من خلقه، فالعباد هم المحتاجون إلى الله، وشأن الله أعظم من ذلك» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٧٧) باختصار.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا سَيِّدَنَا وَابْنَ سَيِّدِنَا، وَخَيْرَنَا وَابْنَ خَيْرِنَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَاكُمْ، لَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ=عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنْ تَرْفَعُونِي فَوْقَ مَنْزِلَتِي الَّتِي أَنْزَلَنِيَ اللَّهُ».

«حمى النبي ﷺ جناب التوحيد، وسد كل طريق توصل إلى الشرك، فإن في سنة النبي ﷺ دلائل على قاعدة سد الذرائع، وأعظم الذرائع التي يجب أن تسد: ذرائع الشرك التي توصل إليه، ومن تلك الذرائع قول القائل: أنت سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فإن مثل هذه الأقوال فيها من التعظيم الذي لا يجوز أن يواجه به بشر.

فحماية النبي ﷺ حمى التوحيد كان في جهة الاعتقادات ومن جهة الأقوال والأفعال والاعتقادات الباطلة، وسد الباب في الأفعال الباطلة، كقوله: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وسد الباب أيضًا في الأقوال التي توصل إلى الغلو المذموم، فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله».

وهذا واجب على المسلم أن يسد كل طريق يجعل نفسه تتعاظم، لأن **أعظم مقامات الشرف لك أن يعلم الله ﷻ منك أنك متذلل خاضع بين يديه، وأنك خائف وجل تدعوه راغبًا راهبًا» (١).**

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٨١- ٥٨٤) باختصار.

«قوله: {مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} أي: ما عظموه حق تعظيمه، ولو عظموه حق تعظيمه لما عبدوا غيره، ولما أطاعوا غيره، ولعبدوه حق العبادة، ولذلوا له ذلًا وخضوعًا دائمًا، وأنابوا إليه بخشوع وخشية، ولكنهم ما قدروه حق قدره.

ولو تأمل الناس صفة الرب ﷻ وما يجب له من الجلال، وما هو عليه سبحانه وتعالى من صفات الذات، ومن صفات الفعل، وما عليه تلك الصفات من الكمال والجلال المطلق لاحتقروا أنفسهم، ولعلموا أنه لا ينجيهم ولا يشرفهم إلا أن يكونوا عبيدًا له وحده دون ما سواه، فالواجب أن يعبد المخلوق من هو متصف بهذه الصفات العظيمة، فهو الحقيق بأن يُذل له، و يُطاع، وهو الحقيق بأن يُبذل كل ما يملكه العبد في سبيل مرضاته ﷻ، ثم تأمل كيف أن ربك العزيز الحكيم المتصف بصفات الجلال، وهو ﷻ فوق عرشه يأمر وينهى في ملكوته يفيض رحمته، فإذا علمت حق الله، وعلمت صفات الله وما هو عليه من العلو المطلق في ذاته وفي صفاته ﷻ وجدت أنك لا تتمالك إلا أن تخضع له وتتوجه إلى طاعته، ولهذا كان من أسباب رسوخ الإيمان في القلب وتعظيم الرب ﷻ= أن يتأمل العبد ويتفكر في ملكوت السماوات والأرض» (١).

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٥٨٩- ٥٩٣) باختصار.

الخاتمة

الحمدُ للّٰه الذي بنعمته تتم الصَالحات، والصَلاة والسلام على نبينا مَحمد، وعلى آله وصَحبه أجمعين.

أما بعد: إن عقيدة التوحيد، وإفراد الله وحده بالعبادة، هي أعظم المقاصد، وأهم الغايات، فمعرفة التوحيد ليست مجرد علمٍ يُدرس، بل هي حياةٌ متجددة تسري في العروق؛ فإفراد الله ﷻ بالعبادة هو النعيم المعجّل في هذه الدنيا، فمن تعلّق بالله وحده حاز خيري الدنيا والآخرة.

فلنتمسك بعُروتنا الوثقى، ولنجعل معالم العقيدة الصحيحة واقعاً حياً يترجم في حركاتنا وسكناتنا، مستحضرين دائماً قول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

فاللهم لك الحمد على نعمة الإسلام والتوحيد والسنة، اللهم اجعلنا ممن حقق التوحيد ظاهراً وباطناً، وطهّر قلوبنا من مواطن الشرك وخفاياه، واجعل آخر كلامنا من الدنيا شهادة الحق، واحشرنا في زمرة الموحدين تحت لواء سيد المرسلين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

https://t.me/DaralTAWHEEED
mnasadaraltwheed@gmail.com

المراجع

- التوحيد للشيخ: محمد بن عبد الوهاب.
- التمهيد لشرح كتاب التوحيد للشيخ: صالح آل الشيخ.
- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد للشيخ: صالح الفوزان.
- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان لابن قيم الجوزية.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.
- تفسير الطبري للشيخ: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.
- تيسير الكريم الرحمن للشيخ: عبد الرحمن السعدي.
- تفسير القرآن الكريم للشيخ: محمد بن صالح العثيمين.
- السنن لأبي داود.
- شرح كتاب التوحيد للشيخ: صالح سندي.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية.
- التوحيد =تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب الحنبلي.
- القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ: محمد العثيمين.
- القول السديد شرح كتاب التوحيد للشيخ: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١
كتاب التوحيد	٢- ٣
فضل التوحيد	٤
ثمرات التوحيد	٥
فضل لا إله إلا الله	٦
باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب	٧- ١٠
باب الخوف من الشرك	١١
باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله	١٢- ١٣
باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله	١٤
باب من الشرك: لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه	١٥
باب ما جاء في الرقى والتمائم	١٦
باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما	١٧

باب ما جاء في الذبح لغير الله	١٨
باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله	١٩
باب من الشرك النذر لغير الله	٢٠
باب من الشرك الاستعاذة بغير الله	٢١
باب من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره	٢٢
باب قول الله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾	٢٣
باب قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾	٢٤
باب الشفاعة	٢٥
باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾	٢٦
باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم هو الغلو في الصالحين	٢٧
باب ما جاء في التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟	٢٨
باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله	٢٩
باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ حِمى التوحيد وسده طرق الشرك	٣٠

باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان	٣١
باب ما جاء في السحر	٣٢
باب بيان شيء من أنواع السحر	٣٣
باب ما جاء في الكهان ونحوهم	٣٤
باب ما جاء في النُّشْرة	٣٥
باب ما جاء في التطير	٢٦
باب ما جاء في التنجيم	٣٧
باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء	٣٨
باب قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾	٣٩
باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٤٠
باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾	٤١
باب قول الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾	٤٢
باب من الإيمان بالله: الصبر على أقدار الله	٤٣

باب ما جاء في الرياء	٤٤
باب من الشرك إرادة الإنسان بعمل الدنيا	٤٥- ٤٦
باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أرباباً	٤٧
باب قول الله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٤٨
باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات	٤٩
باب قول الله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾	٥٠
باب قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٥١
باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله	٥٢
باب قول: ما شاء الله وشئت	٥٣
باب من سب الدهر فقد آذى الله	٥٤
باب التسمي بـ قاضي القضاة ونحوه	٥٥
باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك	٥٦
باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول	٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

باب قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾	٥٨
باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾	٥٩
باب قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾	٦٠
لا يقال: السلام على الله	٦١
باب قول: اللهم اغفر لي إن شئت	٦٢
لا يقال: عبدي وأمتي	٦٣
لا يُردّ من سأل بالله	٦٤
لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة	٦٥
باب ما جاء في الـ "لو"	٦٦
باب النهي عن سب الريح	٦٧
باب قول الله تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾	٦٨- ٧٠
باب ما جاء في منكري القدر	٧١
باب ما جاء في المصورين	٧٢

باب ما جاء في كثرة الحلف	٧٣
باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه	٧٤
باب ما جاء في الإقسام على الله	٧٥
لا يُستشفع بالله على خلقه	٧٦
باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حِمى التوحيد وصيانته لجناب الله	٧٧
باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾	٧٨
الخاتمة	٧٩
المراجع	٨٠- ٨٦

«التَّوْحِيدُ: أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ، وَآخِرُ مَا يَخْرُجُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا، كما قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فَهُوَ أَوَّلُ وَاجِبٍ، وَآخِرُ وَاجِبٍ.

فَالتَّوْحِيدُ: أَوَّلُ الْأَمْرِ وَآخِرُهُ.

والْقُرْآنُ كُلُّهُ فِي التَّوْحِيدِ وَحُقُوقِهِ وَجَزَائِهِ، وَفِي شَأْنِ الشِّرْكِ وَأَهْلِهِ وَجَزَائِهِمْ فَـ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، تَوْحِيدٌ ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ تَوْحِيدٌ، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ تَوْحِيدٌ ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ تَوْحِيدٌ مُتَضَمِّنٌ لِسُؤَالِ الْهِدَايَةِ إِلَى طَرِيقِ أَهْلِ التَّوْحِيدِ، الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الَّذِينَ فَارَقُوا التَّوْحِيدَ».

مدارج السالكين (٣/ ٤١٢-٤١٨).